

الفصل الأول

ركن الدين : نشأته وحياته وأثاره

المبحث الأول : نشأته وحياته :

أ - اسمه ونسبه :

هو السيد أبو الفضائل ركنُ الدين ، أبو علي الحسن بن أحمد ⁽¹⁾ ابن شرفشاه ⁽²⁾ العلوي ⁽³⁾

الحُسَيْنِي ⁽⁴⁾ الأستراباذي ⁽⁵⁾ .

تلك هي رواية العاملي ، وقد اخترتها من بين الروايات الكثيرة ، وهي مع كثرتها نراها

تألف حيناً وتختلف أحياناً ؛ فإشارة تقف عند الأب ، وأخرى تقف عند الجد الأول ، وثالثة

تقف عند الثاني من الأجداد ، وهي بين هذه وتلك تضطرب اضطراباً شديداً ، ولا تكاد

تستقر على حال حتى تفجاناً باختلاف سير أو كثير في صيغ الأسماء وفي الكنى والألقاب إلى

آخر ما هنالك من خلاف .

1- أبو علي ، وأحمد : من معجم الأدباء (5/8) . وفي أعيان الشيعة (أبو محمد ، ومحمد) .

2- وقيل : شرف الدين شاه . وهو لقب جده الأذني (علي بن الحسين) .

3- نسبة إلى جده الأذني (علي) .

4- نسبة إلى جده الأعلى (الحسين) .

5- أعيان الشيعة ، العاملي : 141/23 .

والآن - وبعد هذا الإيجاز - آت لنا أن نُدْف إلى بيان الروايات حسب الترتيب الزمني .

اضطراب الروايات في زاوية الأسماء وما يتعلق بها من الكنى والألقاب :

١ - فيا قوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) - وهو أقرب المؤرخين زمنًا إلى ركن الدين ، بل عاصره في

فترة من حياته ، كما سنحقق ذلك عند تحقّقنا للسنة التي ولد فيها ركن الدين - إن شاء الله

تعالى - أقول : إن يا قوت لا يذكر إلا الكنية ، ويأتي باسم الرجل واسم والده ، ثم ينسبه إلى بلده

أستراباذ ، فيقول في معجم الأدباء ^(١) : " الحسن بن أحمد الأستراباذي (أبو علي) " .

وسلك مسلكه السيوطي (ت ٩١١هـ) ^(٢) ، وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ^(٣) .

وحدًا حدّوه هؤلاء من المحدّثين عمر رضا كخّالة في كتابه (معجم المؤلفين) ^(٤) .

ويلاحظ أن هؤلاء جميعًا لم يذكروا اللقب وهو (ركن الدين) ، غير أننا رأينا حاجي

خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في موضع آخر من كشف الظنون ^(٥) يصرّح بذكر اللقب ، ليس هذا

فحسب ، بل وجدنا الأب عنده اسمه (محمد) وليس (أحمد) ، يقول : " مرآة الشفاء ، في

1 - ٥ / ٨ .

2 - ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ٢ / ٢١٨ ط السعادة بمصر / ط أولى / سنة ١٣٢٦هـ .

3 - ينظر : كشف الظنون ، ص ١٢٧٣ . ويلاحظ أنه ذكر (حسن) مجردًا من (ال) .

4 - ينظر : ١٩٦ / ٣ .

5 - ص ١٦٤٨ .

الطب ، للفاضل ركن الدين الأسترباذي ، الحسن بن محمد ⁽¹⁾ وهو في النقل الثاني يحدو حدو بعض المتقدمين مما سند كرههم الآن .

٢- كل أولئك قد وقفوا عند الحلقة الأولى في سلسلة النسب ، فلم يذكروا الجد الأول لركن الدين ، على حين نرى تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) ، وهو قريب عهد بركن الدين يطفر طفرة تقف به عند الجد الثالث ، فيقول : "الحسن بن شرف شاه ، السيد ركن الدين أبو محمد ، العلوي الحسيني الأسترباذي ⁽²⁾ ؛ حيث صرح بنسبته إلى الجد الأول (علي) ، وثنى بالجد الثاني وهو (حسين) ، ولم يرد ذكر الجد الثالث . فقوله "العلوي" : نسبة إلى جدّه الأول (علي) ، وقوله : "الحسيني" : نسبة إلى جدّه الثاني (الحسين) .

وعائله مسلك المقرئ (ت ٨٤٥هـ) ، غير أنه قدّم ذكر (الحسيني) على (العلوي) ، وأتى بلفظة (الدين) بين جزأَي لقب الجدّ الأول ، فقال : "السيد الإمام العلامة ركن الدين ، أبو محمد الحسن بن شرف الدين شاه الحسيني العلوي الأسترباذي ⁽³⁾ .

وعائله أيضاً مسلك ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، غير أنه اكتفى بذكر لقب الجدّ الأول ولم يصرّح باسمه ، وكذلك لم يذكر كتب المترجم له ؛ يقول : "الحسن بن شرف شاه الحسيني

1- المصدر السابق .

2- طبقات الشافعية الكبرى : ٩/٤٠٧ - ط الحلبي - ط . أولى ١٣٨٤هـ .

3- السلك لمعرفة دولة الملوك : ٢/١٥٨ - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤١م .

الأسترباذي، ركن الدين (1) .

ويلاحظ أن السبكي (ت ٧٧١هـ)، والمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) قد أسقطوا الأب وهو (أحمد)، ولعلمهم لم يعمدوا إلى الإسقاط، وإنما جنحوا إلى الإيجاز في سلسلة النسب، كما يحدث في كثير من الأحيان قديماً وحديثاً ثم جاء ابن العماد الحنبلي بعد ابن حجر بما يقرب من قرنين ونصف القرن (ت ١٠٨٩هـ) فافتقأ أثره وحذا حذوه، في أحد قوله (2)، غير أنه ما هنا جرّد الحسن من (أل) .

٣- أما المجموعة الثالثة من الروايات النسبية فهي تختلف عمّا سبقها من روايات في اسم والد ركن الدين؛ حيث صرّحت بأن اسمه (محمد) بدلاً من (أحمد)؛ يقول ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) : " الشيخ الإمام العلامة السيد ركن الدين حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترباذي (3) .

ويلاحظ أنه قد أسقط الكنية (أبا علي)، وأيضاً جرّد الحسن من (ال) .

وقد حذا حذوه جماعة من المتأخرين، هم: حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، كما ذكرنا، وابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) في القول الآخر (4) . وإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) (5)

1 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ١٦/٢ - ط . حيدرآباد سنة ١٣٤٩هـ .

2 - ينظر : شذرات الذهب : ٣٥/٦ (تحت وفيات سنة ٧١٥هـ) .

3 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٩/٢٣١ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب - أحداث سنة ٧١٥ .

4 - ينظر : شذرات الذهب : وفيات سنة ٧١٨هـ .

5 - ينظر : هدية العارفين : ١/٢٨٣ ، ط ١ - إستانبول سنة ١٣٨٧هـ .

والزركلي (ت ١٣٩٠هـ)^(١)؛ حيث جاء اسم الوالد عندهم (محمدًا) بدلًا من (أحمد) .

ليس هذا فحسب ، بل وجدنا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) يضيف لقبًا أمام الوالد محمد ؛ حيث

يقول: " ركن الدين ، الحسن بن رضي الدين محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي الشافعي^(٢) .

هذه زاوية من زوايا اضطراب الروايات في اسم ركن الدين ونسبه مَحَصَّتْ عن تقسيمها

ابتداءً إلى مجموعات ثلاث ، بعد أن اتجهنا فيها المنهج التاريخي ، وسنتناول بقية الزوايا بالمقارنة

والتحليل بعد أن نفرغ من متعلقات هذه الزاوية التي تتصل بأسماء الآباء ؛ أعني اسم الوالد :

أحمد هو أم محمد ؟

جاء في سلسلة النسب - كما رأينا - تارة لفظ (أحمد) ، وأخرى لفظ (محمد) ،

وذلك في اسم والد ركن الدين ، وثالثة أسقط ذكره ، فأيهما هو الصحيح ؟

وأبادر فأقول : إن والد ركن الدين هو (أحمد) ، فيما أرجح ، فإن قيل ما السبيل إلى

هذا الترجيح ؟ قلنا إن أول من ترجم لركن الدين هو ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، وقد عاصره

حيث ترجم له في حياته ، ثم توفى ياقوت وعمر ركن الدين بعده إلى أن توفي سنة ٧١٥هـ ، ولا

يستبعد أن يكونا قد تقابلا في الفترة التي تعاصرا فيها ، ولا شك أن ترجمة المعاصر المعاصره أكثر

ضبطًا وتأكيده من ترجمة المتأخرين .

1 - ينظر : الأعلام : ٢ / ٢١٥ ، دار العلم للملايين . بيروت / لبنان / ط . سابعة ، سنة ١٩٨٦م .

2 - هدية العارفين : ١ / ٢٨٣ .

ونجاء السبكي (ت ٧٧١هـ) بعد وفاة ركن الدين بقليل ، فلم يذكر والد ركن الدين ، لعله لم يقف على اسمه ، أو ربما يكون قد أسقطه اختصاراً ، ثم جاء بعده بقليل المقرئ (ت ٨٤٥هـ) فحذا حدوه ولم يذكره ، وهذا عين ما فعله ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) الذي عاصر المقرئ .

لكننا وجدنا ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) الذي عاصر ابن حجر والمقرئ يعزّ عليه أن يسقط الوالد من بسلسلة النسب فأتى بلفظة (محمد) ربما لم يطلع على معجم الأدباء وما ذكره فيه ياقوت (ت ٦٢٦هـ) ، وربما جاء بهذا الاسم من مصدر مشكوك فيه .

ثم جاء حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) وتابع ابن تغري بردي في ذلك في أحد قوله - كما ذكرنا - وأيضاً حدّاً حدّوا ابن تغري بردي : ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) وإسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ، وخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٠هـ) .

ولكن السيوطي (ت ٩١١هـ) يأتي بعد ياقوت (ت ٦٢٦هـ) بنحو ثلاثة قرون لكي يتبنى ما قاله ياقوت ويصرّح بأن والد ركن الدين اسمه (أحمد) ، يقول : "الحسن بن أحمد الأسترابادي أبو علي اللغوي الأديب ، الفاضل ، أوحد زمانه ، شرح الفصح والحماسة . قاله ياقوت" (١) .

ويحدّو حدّوا السيوطي في ذلك حاجي خليفة في القول الآخر ، وكذلك كحالته في معجم المؤلفين (٢) ، الذي يحيل من أراد الوقوف على ترجمة ركن الدين إلى معجم الأدباء .

1- بنية الوعاة : ٢/٢١٨ .

2- ١٦٦/٣ .

ب - ألقابه :

وردت في ترجمة صاحبنا الحسن الأستراباذي التي تناولها كثير من كتب التراجم ألقاباً عدّة ارتبطت جميعها به وعرف بها وقد أطلقت عليه إما للدلالة على مسقط رأسه وإما للإحاطة بمذهبه الديني، كما أن منها ما كان للدلالة على مكانته العلمية، أو ما كان يطلق في عصره تيمناً وتفاؤلاً، كما أن منها ما كان للدلالة على سلسلة نسبه، وها هي ألقابه التي وقتت عليها .

- ركن الدين :

وهذا اللقب أنبته كثير من كتب التراجم ؛ حيث أثبتته السبكي (ت ٧٧١هـ) (1) والمقريزي (ت ٨٤٥هـ) (2) ، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) (3) ، وابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) (4) وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) (5) ، وابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) (6) ، وإسماعيل البغدادي

1 - ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٤٠٧/٩ .

2 - ينظر السلوك : ١٥٨/٢ .

3 - ينظر : الدرر الكامنة : ١٦/٢ .

4 - ينظر : النجوم الزاهرة : ٢٣١/٩ .

5 - ينظر : كشف الظنون ص ١٦٤٨ .

6 - ينظر : شذرات الذهب : ٣٥/٦ .

(ت ١٣٣٩هـ) (١)، والزركلي (ت ١٣٩٠هـ) (٢) .

وقد حذا حذو هؤلاء من المعاصرين في إثبات هذا اللقب كل من العاملي (٣) وبروكلمان (٤)

والورد (٥) .

ولعل هذا اللقب من الألقاب التي كانت تطلق على أصحابها تيمناً وتفاؤلاً شأنها شأن ألقاب

أخرى كبدر الدين وشمس الدين وجمال الدين وكمال الدين وعلم الدين وزين الدين وهكذا .

- السيد :-

وهذا اللقب أثبتته السبكي (٦) وتابعه في ذلك المقرئ (٧) ثم ابن تشرني بردي (٨) ، ثم جاء

بعد ذلك ابن العماد (٩) ثم العاملي (١٠) وأثبتوا هذا اللقب .

1 - ينظر: هدية العارفين: ١/٢٨٣ .

2 - ينظر: الأعلام: ٢/١٥ .

3 - ينظر أعيان الشيعة: ٢٣/٧٠، ١٤٠ .

4 - ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥/٣١٢ .

5 - ينظر: فهرس الورد: ٦/٨٠، ٨٣ .

6 - ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٩/٤٠٧ .

7 - ينظر: السلوك: ٢/١٥١ .

8 - ينظر: النجوم الزاهرة: ٩/٢٣١ .

9 - ينظر: البشدرات: ٦/٣٥ .

10 - ينظر: أعيان الشيعة: ٢٣/١٤١ .

- العلويّ:

نسبة إلى جدّه الأديّ علي بن الحسين الشيعيّ، الملقّب بشرف الدين شاه⁽¹⁾.
وهذا اللقب أثبتّه السبكي⁽²⁾، وتابعه المقرئزي⁽³⁾، وأثبتّه من المحدثين العامليّ في أعيان
الشيعّة⁽⁴⁾.

- الحسيني:

وهذا اللقب نسبة إلى جدّه الأعلى الحسين الأستراباذيّ.
وهذا اللقب أثبتّه المؤرخون الثلاثة الذين أثبتوا لقب (العلويّ) في الفقرة السابقة، يضاف
إليهم ابن تغري بردي⁽⁵⁾، وابن العماد⁽⁶⁾، وإسماعيل البغدادي⁽⁷⁾. وخير الدين الزركلي⁽⁸⁾

- الأستراباذي:

-
- 1- ينظر ترجمته في: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للطهراني: ٤٦/١. طالمغربي/التجف ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.
 - 2- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٢٣١/٩.
 - 3- ينظر: السلوك: ١٥٨/٢.
 - 4- ١٤١/٢٣.
 - 5- ينظر: النجوم الزاهرة: ٢٣١/٩.
 - 6- ينظر: الشذرات: ٣٥/٦.
 - 7- ينظر: هدية العارفين: ٢٨٣/١.
 - 8- نظر: الأعلام: ٢١٥/٢.

وهذا اللقب نسبة إلى بلدته ومسقط رأسه (أستراياد) . وسوف نورد لها حديثاً يخصها .

- الشافعي:

وهذا اللقب نسبة إلى مذهبه الفقهي ، وقد صرح به إسماعيل البغدادي في هدية العارفين⁽¹⁾ .

ج- كنيته:

يكنى ركن الدين بثلاث من الكنى ، هي : أبو الفضائل ، أبو علي ، أبو محمد ، وذلك على

النحو التالي :

- أبو الفضائل:

وهذه الكنية تدل على مكانة ركن الدين العلمية وأنه جمع الكثير من الفضائل ؛ فهو إمام

متقدّم علامة في علوم اللغة والأدب ، وأيضاً علامة في العلوم العقلية والنقلية ، وغيرها .

وهذه الكنية أثبتها العالمي في أعيان الشيعة⁽²⁾ ، وجاءت أيضاً في فهرس دار الكتب⁽³⁾

عند الحديث عن شرح الشافية لركن الدين ؛ حيث جاء ما نصّه : " شرح الشافية ، لأبي الفضائل

ركن الدين الحسن بن محمد بن شرف شاه العلوي الأسترايادي سنة ٧١٥ هـ " .

- أبو علي:

1- ينظر: هدية العارفين: ١/٢٨٣ .

2- ينظر: ٢٣/١٤١ .

3- حرف (ش) .

وهذه الكنية أثبتتها ياقوت⁽¹⁾، وتابعه في ذلك الإمام السيوطي⁽²⁾ وحاجي خليفة⁽³⁾،
وعمر رضا كخالة⁽⁴⁾. وهذه من الكنى التي تطلق تيمناً وتفاؤلاً؛ كأن يقال لمن اسمه إبراهيم
(أبو خليل) ولمن اسمه يعقوب (أبويوسف) ولمن اسمه عمر (أبو حفص) وهكذا.

- أبو محمد :

وهذه الكنية أطلقها السبكي في ترجمة ركن الدين⁽⁵⁾. وتابعه المقرئ⁽⁶⁾، ثم ابن
العماد⁽⁷⁾. ولعله كان يكنى باسم ابنه الأكبر، كما يحدث في كل العصور أن يكنى الشخص
باسم ابنه الأكبر، هذا ترجيح فقط؛ لأنه لم يرد تصُّعْمَنُ ترجموا له بقطع بذلك، ولم تذكر كتب
التراجم التي ترجمت له شيئاً عن أبنائه.

وبناء على ما تقدم من ذكر اسم صاحبنا ركن الدين ونسبه وألقابه وكناه يمكننا - على
وجه من الاطمئنان - أن نذكر اسمه كاملاً شاملاً لكل ما سقناه بعد تمحيصه وتجريده؛ فنقول،

-
- 1- ينظر: معجم الأدباء: ٥/٨.
 - 2- ينظر: بغية الوعاة: ٢/٢١٨.
 - 3- ينظر: كشف الظنون، ص ١٢٧٣.
 - 4- ينظر: معجم المؤلفين: ٣/١٩٦.
 - 5- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٩/٤٠٧.
 - 6- ينظر: السلوك: ٢/١٥٨.
 - 7- ينظر: شذرات الذهب (وفيات سنة ٧١٨هـ).

هو:

السيد أبو الفضائل ركن الدين أبو علي - وقيل: أبو محمد - الحسن بن أحمد بن شرف الدين شاه علي بن الحسين الأستراباذي الشافعي.

د - أسرته:

لم تذكر لنا كتب التراجم التي ترجمت لركن الدين شيئاً عن والده ويبدو أن والده لم يكن من ذوي الجاه والسلطان والمكانة العلمية المرموقة ليدكر وتناوله الكتب؛ بدليل أن المؤرخين الذين أوردوه قد اختلفوا حوله؛ فبعضهم ذكره (أحمد)، وبعضهم محمداً كما ذكرنا . ولم يرد ذكره أيضاً بشأن أولاده، غير أن بعض المؤرخين أثبت من كناه أبا محمد ورجحنا أنه اسم واحد من أولاده .

أما عن جدّه الأدنى فهو: شرف الدين علي بن الحسن الأستراباذي⁽¹⁾؛ جاء في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة⁽²⁾ للشيخ أغا بزرك الطهراني (ت ١٣١٢هـ) ما نصّه: "الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة، للشيخ شرف الدين بن علي النجفي، كما ذكره في أمل الأمل، يأتي بعنوان: تأويل الآيات الطاهرة، وأنه للسيد شرف الدين علي الحسيني الأستراباذي". والسيد شرف الدين هذا كان شيعياً، وله مؤلفات أخرى في المذهب الشيعي كما تذكر كتب

١ - ينظر في ترجمته: الذريعة: ١/١٤٣ .

٢ - ج ١/٤٦ .

التراجم التي تترجم لأعيان الشيعة، مثل أعيان الشيعة للعالمي والذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهراني، وغيرها .

أما عن جدّه الأعلى (الحسين) فلم تقف على شيء من أخباره غير ما جاء من إثبات كتب التراجم لاسمه والنصّ على نسبة ركن الدين إليه؛ وذلك بإثباتها لقب (الحسيني) ضمن سلسلة النسبة.

هـ - ميلاده:

إن كتب التراجم التي بين أيدينا والتي ترجمت لركن الدين لا تحدثنا عن السنة التي ولد فيها، غير ما جاء في بعضها على سبيل التلميح لا التصريح . أقول: إن كتب التراجم يمكن تصنيفها بالنسبة إلى موقفها من ميلاد ركن الدين إلى ما يلي:

(أ) بعضها لم يتعرض لميلاده، لا بالتصريح ولا بالتلميح، وذلك هو القسم الأكبر .

(ب) بعضها تعرض له بالتلميح دون التصريح؛ بأن تذكر تاريخ الوفاة ثم تذكر عمر ركن الدين حين الوفاة، فكانه أعطانا تاريخ الميلاد وإن لم يأت به صريحاً، مع العلم بأن ثمة اختلافاً كبيراً في ذلك بين هؤلاء المؤرخين .

(ج) بعضها الآخر ورد به تصريحٌ بتاريخ الميلاد، وذلك في القليل النادر .

وإليك البيان مع اضطراب أقوال المؤرخين:

أما القسم الأول الذي لم يتعرض لميلاده إطلاقاً، لا بالتصريح ولا بالتلميح، فمنهم: ابن

تُثَرِي بِرُؤْيِي، وَحَاجِي خَلِيفَةَ، وَاسْمَاعِيلَ الْبَغْدَادِي وَالْعَامِلِي، وَعَمْرُ كَخَالَةَ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي، ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَ تَارِيخَ الْمِيلَادِ بِالْتَمِيحِ، فَإِلَيْكَ بَيَانٌ مَا جَاءَ فِيهِ :

١- ذَكَرَ السَّبْكِ (ت ٧٧١هـ) فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى أَنَّ رُكْنَ الدِّينِ تُوِّفِيَ سَنَةَ

٧١٥هـ عَنِ سَبْعِينَ سَنَةً^(١) . وَتَابَعَهُ فِي ذَلِكَ الْمُقْرِزِي (ت ٨٤٥هـ) فِي كِتَابِهِ

السَّلُوكِ^(٢)، ثُمَّ ابْنُ حِجْرٍ (ت ٨٥٢هـ) فِي الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ^(٣) . فَعَلَى هَذَا يَكُونُ

مِيلَادُ رُكْنَ الدِّينِ سَنَةَ ٦٤٥هـ .

٢- ذَكَرَ السِّيَوطِيُّ (ت ٩١١هـ) تَقْلَاعًا عَنْ صِلَاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ (ت ٧٦٤هـ) أَنَّ

رُكْنَ الدِّينِ عَاشَ بَضْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً . وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ سَنَةِ ٦٤٥هـ .

٣- وَذَكَرَ الْعَيْنِيُّ فِي عَقْدِ الْجُمَانِ أَنَّ رُكْنَ الدِّينِ قَدِ بَلَغَ الثَّمَانِينَ وَيَعْنِي مَا قَالَهُ الْعَيْنِيُّ أَنَّ

رُكْنَ الدِّينِ وُلِدَ سَنَةَ (٦٣٥هـ) .

٤- وَيَضْطَرُّ ابْنُ قَاضِي شَهْبَةَ (٨٥١هـ)؛ حَيْثُ يَذْكَرُ أَنَّهُ تُوِّفِيَ بِالْمَوْصِلِ فِي الْحَرَمِ

سَنَةَ ٧١٥هـ، أَوْ ٧١٨هـ، عَنِ تَيْفِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، أَوْ أَنَّهُ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ^(٤)

١- يَنْظُرُ : ٧/٩ . .

٢- يَنْظُرُ : ١٥٨/٢ .

٣- يَنْظُرُ : ١٧/٢ .

٤- يَنْظُرُ : سَدِّتْ لِنَحَاةِ وَاللَّفْوِينِ، ص

وعلى ما قاله ابن قاضي شهبة يكون ركن الدين قد ولد سنة ٦٣٥ هـ، على رأي
أوما بين هذا التاريخ و ٦٤٥ هـ على الرأي الآخر .

٥- وقد اضطرب أيضًا ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) في حديثه عن السنة التي
توفي فيها ركن الدين، حيث إنه قد ترجم له تحت حوادث سنة ٧١٥ هـ، ثم عاد
فترجم له تحت أحداث سنة ٧١٨ هـ، ولم يذكر شيئًا عن مولده ولا عن عمره
الذي عاشه، غير أنه صرح بأنه قد شاخ^(١). وهذه الشيخوخة تبدأ بعد الثمانين
إلى ما لا نهاية .

وأما القسم الثالث فنراه يصرح بالسنة التي ولد فيها والسنة التي توفي فيها، وقد تفرد بهذا
الزركلي في أعلامه؛ حيث يقول وهو بصدد ترجمته: "ابن شرف شاه (٦٤٥-٧١٥ هـ):
حسن بن محمد بن شرف الحسيني الأستراباذي ركن الدين"^(٢).

والزركلي من المحدثين، حيث توفي سنة ١٣٩٠ هـ، وأراه قد اختار الرأي القائل بأن
ركن الدين توفي سنة ٧١٥ هـ، عن سبعين سنة، ثم قام بعملية حسابية صغيرة، وهي طرح
سبعين سنة من تاريخ الوفاة وهو (٧١٥ هـ) فكان الحاصل أنه ولد سنة ٦٤٥ هـ .

1- ينظر: شذرات الذهب : ٦ / ٣٥ .

2- الأعلام : ٢ / ٢١٥ .

لكن ، وقد اضطرت الروايات التاريخية هكذا ، ما الذي نرجحه بالنسبة إلى السنة التي

ولد فيها ركن الدين ؟ .

موقفنا من الروايات السابقة :

أبادر فأقول : إنني لا أتفق مع كل هذه الروايات ، بل أطرحها جميعاً وأرجح أن ركن

الدين ولد قبل أسبق تاريخ قلت بشأن مولده (وهي رواية العيني التي نستخلص منها أنه ولد

سنة ٦٣٥ هـ) . أقول أرجح أنه ولد قبل هذا التاريخ بنحو من ربيع قرن . فإن قيل من أين أتيت

بهذا التحديد ، وما السبيل إلى هذا الترجيح ؟

قلنا : إن أسبق تاريخ بشأن مولده هي رواية (٦٣٥ هـ) ، كما ذكرنا ، ثم تعددت الروايات التي

نستخلص من بعضها هذا التاريخ ، ومن بعضها الآخر (٦٤٥ هـ) ، وبعضها يتأرجح بين التاريخين

فإذا كان الأمر كذلك ورجحنا واحدة من تلك الروايات التي تبدأ — عن طريق عملية حسابية —

بسنة (٦٣٥ هـ) وتنتهي بسنة (٦٤٥ هـ) فماذا نقول إذا علمنا أن ياقوت الحموي المتوفى سنة

٦٢٦ هـ قد ترجم لركن الدين موضوع البحث ، حيث جاء في معجم الأدباء (٨ / ٥) ما نصّه : "

الحسن بن أحمد الأستراباذي ، أبو علي : النحوي ، اللغوي ، الأديب ، حسن طبرستان ،

وأوحد ذلك الزمان ، وله من التصانيف : كتاب شرح الفصح ، وكتاب شرح الحماسة ."

فإن قيل : قد يكون المراد عند ياقوت شخصاً آخر غير الحسن بن أحمد الأستراباذي

موضوع البحث ؟

أقول: إنني وضعتُ هذا الاحتمال أمام عينيّ وذهبت لأستشير كلَّ كُتِّب التراجم .
وأبحث عن علماء أستاذنا المتقدمين والمتأخرين ، الشافعية والشيعة ، ممن سبقوا عالمنا بقليل
ولهم شرح الحماسة والفصيح ، ولكنني بعد جهد جهيد زال ما في نفسي من شك وتأكَّدتُ من
أنَّ المراد عند ياقوت هو عالمنا المترجم له ، وأن ركن الدين هذا قد شرح الفصيح والحماسة وقد
نصَّت كتب التراجم التي أتت بعد وفاته على أنه شرح هذين الكتَّابين من بين مؤلفاته ، وقد نقل
السيوطي (ت ٩١١هـ) ترجمته عن ياقوت (ت ٦٢٦هـ) ، وجاء كحالة بعد ياقوت بما يقرب من
ثمانية قرون لينقل ترجمة ركن الدين عن ياقوت أيضًا ويحيل إلى معجم الأدباء (٥/٨) من بين كتب
التراجم التي أشار إليها .

لذا أرى أن ركن الدين قد عاصره ياقوت (ت ٦٢٦هـ) في شطر من حياته ، وكان ركن
الدين شابًا يافعًا عُرِف عنه النبوغ المبكر في عصره وطارَت شهرته ، وأنه قد شرح هذين الكتَّابين
في وقت مبكر من حياته ، ربما لا يكون قد بلغ العشرين من عمره آنذاك ، وهما أول مصنفاته ،
وصل ذكره وذكر كتابيه إلى ياقوت فترجم له قبل وفاته ، وكان ركن الدين لا يزال شابًا في مستقبل
العمر فأنار ذلك إعجاب ياقوت ، وقال عنه : " حسنة طَبْرَسَان وأوحد ذلك الزمان " . ثم
تُوفِّي ياقوت سنة (٦٢٦هـ) وكان ركن الدين لا يزال آنذاك حيًّا ، بدليل أن ياقوت لم يذكر تاريخ
وفاته ولا حتى مولده .

وأرى كذلك أنَّ أصحاب الروايات السابقة الذين حددت تلميحات سنة ميلاده لم يكونوا قد

اطلعوا على ترجمة ياقوت له، وإلا كانوا قد رجّحوا ما رجّحناه .

- ويؤيد ما رجّحناه أيضاً بشأن ميلاد ركن الدين وأنه كان من المعمرين ما قاله ابن العماد الحنبلي؛ حيث نصّ على أن ركن الدين ((قد شاخ))^(١) . ومرحلة الشيخوخة - كما نعلم - تبدأ من بعد الخمسين إلى ما لانهاية^(٢) ، وليس بغريب في أي زمن أن يعيش المرء (١١٥) عاماً ، أو (١٢٠) عاماً أو نحو ذلك . وعلى هذا يكون ركن الدين قد ولد سنة ٦٠٠ هـ ، أو حول هذا التاريخ ، وهذه نتيجة قد سلكتها في إثباتها سبيل الظنّ والترجيح ، وذلك بعد معايشة تامة لكُتب التراجم جميعها ، وبعد جهد جهيد في تقصي أخبار ركن الدين والوقوف على ترجماته .

ومما استرعى انتباهي أثناء تجوالي وتطوافي بين كُتب الطبقات أنني وجدت الإمام السيوطي - رحمه الله - ينقل ترجمته لركن الدين عن ياقوت ، ويصرح بذلك عقب الترجمة ، بقوله " قاله ياقوت"^(٣) ، ثم في موضع آخر يذكر تقياً عن صلاح الدين الصفدي أن ركن الدين عاش بضعاً وسبعين سنة ، ولم يقف أمام هذه المسألة ليحققها ، ولم يلفت انتباهه أنه على ما نقله عن

1 - شذرات الذهب: ٦/ ٣٥ .

2 - ذكره صاحب اللسان ، وأضاف: " وقيل: من الحسين إلى الثمانين " . اللسان / شيخ / ٤ : ٢٣٧٣ .

3 - بغية الوعاة: ١/ ٤٩٩ .

الصفدي يكون قد ولد بعد وفاة ياقوت، فكيف يترجم ياقوت لمن يأتي بعد وفاته؟ كان من المتوقع أن يحقق السيوطي هذه القضية غير أنه. كما عهدنا عنه. رحمة الله. لا يكلف نفسه في كثير من الأحيان سوى عناء النقل فقط .

و- موطنه:

وتقصد بموطنه مسقط رأسه حيث ولد ونشأ وقضى طفولته وصباه حتى شبَّ عن الطوق وبتت عليه معالم النبوغ والتفوق . وكُتب التراجم التي بين أيدينا والتي ترجمت لركن الدين لا تحدثنا عن المكان الذي ولد فيه ، ولكننا نرجح أنه ولد في مدينة أستراباذ . بفتح الهمزة وكسرها^(١) . وذلك لإجماع المؤرخين على نسبه إليها .

أستراباذ:

مدينة كبيرة مشهورة أخرجت الكثيرين من أهل العلم في كل فنٍ ، وهي مدينة في شمال فارس ، من أعمال طبرستان في بلاد مازندران ، بين سارية وجرجان . وتقع بالقرب من الجانب الجنوبي الشرقي من بحر قزوين ، وتبعد عن البحر من جهة الشرق ثلاثة وعشرين ميلاً ، وهي على ارتفاع ٣٨٠ قدماً على سطح البحر على سفح جبال شاهقة الارتفاع مغطاة بالغابات الكثيفة ، وهي فرع من جبال البرنس ، وعلى حافته وادٍ مسعٍ تكثر المستنقعات في

1- وهذا الضبط لابن الأثير في اللباب (٥١/١) . أما ياقوت فيذكر في معجم البلدان (١٧٤/١) أنها بفتح الهمزة .

كثير من أرجائه، وتَقِلُّ الزراعة فيه على الرغم من خصوبته، وينتهي بصحراء التُّركمان الرملية (قُرهُ قُمْ) .

ويستَرُّ البعضُ معنى (أَسْتَرَابَاذ) بمدينة النجوم؛ إذ (أستروساره) بمعنى (نجم) في

الفارسية . والبعض الآخر يفسر معناها بمدينة أو مكان البغال (أستروستر) بالفارسية:

البغل؛ إذ يقال إنه لم يسكنها في أول عهدهما سوى أصحاب البغال والحمير^(١) .

ونقل ياقوت عن ابن البناء أن (أستراباذ) كَوْرَةٌ نَسَا من نواحي خُرَّاسَانَ^(٢) .

وقيل: أستراباذ كَوْرَةٌ بالسواد يقال لها كَرَجٌ مَيْسَانَ^(٣) .

وقد يطلق عليها: أَسْتَرَاد ، ، وستراباذ^(٤) . واستاراباذ^(٥) . إلا أن الأشهر والأكثر (

أستراباذ)^(٦) .

1- ينظر: اللباب (١/٥١)، ومعجم البلدان (١/١٧٤-١٧٥)، ودائرة المعارف الإسلامية (٢/٨٧-٨٨)

2- ينظر: معجم البلدان (١/١٧٥) .

3- ينظر المصدر السابق .

4- ينظر: دائرة المعارف الإسلامية (٢/٨٧) .

5- ينظر: اللباب (١/٥١) .

6- ومن مشاهير أهلها: أبو عَيمٍ الأَسْتَرَابَاذِي (ت ٣٢٠ هـ) [ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/٢٣٥-٢٣٦

والنجوم الزاهرة: ٣/٢٥١] . وأبو أحمد عمرو بن أحمد بن محمد بن الحسن الأَسْتَرَابَاذِي (ت ٣٦٢ هـ) [ترجمته في المصدر

السابق (٣/٤٦٨-٤٦٩) . ورضي الدين الأَسْتَرَابَاذِي (ت ٦٨٦ هـ) [ترجمته في أعيان الشيعة: ٤٤/١٢-١٦] .

ز- نشأته وحياته العلمية:

إنَّ الفترة الأولى من فترات حياة ركن الدين يكتنفها غموض تام، بل هي مجهولة تماماً إذ إنَّ كتب التراجم لم تذكر شيئاً عن مولده أو نشأته الأولى أو حياته حتى سنة (٦٦٧هـ) وهي السنة التي رجع فيها إلى مراغة بأذربيجان. ويبدو أنه بدأ حياته بدراسة القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية بأستراباد وبعد أن حصل كلَّ ما يمكن تحصيله في موطنه ناقت نفسه إلى المزيد من العلم فرحل إلى مراغة سنة ٦٦٧هـ، حيث كانت مراغة آنذاك مركزاً هاماً من مراكز العلم والثقافة خاصة بعد سقوط بغداد. وفي مراغة التقى بالعلامة نصير الدين الطوسي وعمل تحت لوائه وتلمذ عليه وصار من أكبر تلاميذه، حتى عيّنه الطوسي معيداً في حلقة، وذلك بعد أن حصل منه علوماً كثيرة^(١) يقول ابن رافع في (ذيل تاريخ بغداد): «قدم مراغة، واشتغل على مولانا نصير الدين وكان يتوقد ذكاءً وفطنة، وكان المولى قطب الدين حينئذ في ممالك الروم، فقدمه النصير، وسار رئيس الأصحاب بمراغة، وكان يجيد دروس الحكمة»^(٢).

وقد كان نصير الدين الطوسي هذا من أبرز علماء المسلمين في عصره في بلاد خوارزم شاه، وطارته شهرته في الآفاق، وكانت شهرته في جميع العلوم، وخاصة في الهيئة والفلك و النجوم والأرصاد، وكانت شهرته في علم النجوم والرصد قد بلغت مسامع هولاء، فأراد أن

1 - ينظر: النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣٦.

2 - تقرأ عن بقية الرواة: ١/ ٥٢١. وقد اعتمدنا على النقل لعدم تمكننا من الحصول على كتاب ذيل تاريخ بغداد.

يكون هذا العالم الجليل ضمن حاشيته ، ليستعين به ويخبرته في النجوم ، فاحل مكانة مرموقة عنده ، وحيث إنه برع في العلم الذي يهتم به سلاطين المغول ، وهو علم الرصد والنجوم ، فكان هولاء كويتبعه ويضع الأموال الطائلة تحت تصرفه ، فاستغل الطوسي ذلك وأرسل إلى علماء المشرق والمغرب يدعوهم إلى مراعاة وإبنتى لهم فيها مرصداً كبيراً ، ومكتبة ضخمة بلغت محتوياتها زهاء (٤٠٠,٠٠٠) مجلد من المخطوطات معظمها من المنهوبات من خزائن بغداد والشام والجزيرة العربية . وكان ركن الدين واحداً ممن لبوا دعوة الطوسي للتمذة عليه ، والعمل تحت إوائه في الميدان العلمي . وكان ركن الدين مبجلاً عند التار وحيماً متواضعاً ، يقال إنه كان يقوم لكل واحد حتى للسقاء ، وتخرج به جماعة من الأفاضل (١) ، (٢) .

ح- رحلاته :

• رحيله إلى بغداد :

رحل ركن الدين مع أساتذته الطوسي إلى بغداد ، وذلك في عام ٦٧٢هـ ، فلما مات ان أرسى في هذه السنة رحل ركن الدين إلى الموصل (٣) .

• رحيله إلى الموصل :

1- ينظر الدرر الكامنة : ١٦/٢ .

2- لم تحدثنا المصادر التي بين أيدينا والتي ترجمت لركن الدين عن أفراد أسرته ووجوده بينهم ، ويدو أن أسرته لم تكن من ذوي الجاه والسلطان ، ولا من ذوي المكانة العلمية أو الاجتماعية المرموقة حتى تناقل أخبارها ككب التراجم .

3- ينظر : بنية الوعة : ١/ ٥٢٢ .

ترك ركن الدين بغداد متوجّهاً إلى الموصل وذلك لما مات أستاذه ، وفي الموصل احتلّ مكانة علمية مرموقة وصار عالم المَوْصِلِ الْمُتَقَرِّدِ^(١) ودرس للشافعية^(٢) ، وولي التدريس بالمدرسة النورية ، وبالموصل صنّف غالب مؤلفاته^(٣) يقول السيوطي :^(٤) « ولما توجه النصير إلى بغداد سنة ٦٧٢هـ لازمه فلما مات النصير في هذه السنة صعد إلى الموصل واستوطنها ودرّس بالمدرسة النورية بها وقوّض إليه النظر في أوقافها »^(٥).

وظلّ الرجل بالموصل حتى وافته المنية رحمة الله رحمة واسعة .

ط- أخلاقه وصفاته :

كان ركن الدين وجيهاً حليماً متواضعاً ، يقال إنه كان من شدة تواضعه يقوم لكل واحد

حتى للسقاء^(٥) .

ويقول السبكي في طبقات الشافعية الكبرى^(٦) : « وكان جليل القدر معظماً عند

ملوك الزمان حسن السمّت والطالع حكيم أنه كان مدرساً بماردين بمدرسة هناك تسمى مدرسة الشهيد ، فدخلت عليه امرأة يوماً ، فسألته عن أشياء مشكّلة في الحيض ، فعجز عن

1- ينظر: الدرر الكامنة: ١٦/٢، وهدية العارفين: ٢٨٣/١ .

2- ينظر: السلوك: ١٥٨/٢ .

3- ينظر: النجوم الزاهرة: ٢٣٦/٩ .

4- بغية الوعاة: ٥٢٢/١ .

5- ينظر: الدرر الكامنة: ١٦/٢، والشذرات: ٣٥/٦ .

6- ٤٠٧/٩ .

الجواب ، فقالت له المرأة : أنت عَدْبَتُكَ^(١) واصلة إلى وَسَطِكَ وتعجزُ عن جواب امرأة ؟ فقال لها : يا خالة لو علمت كل مسألة أسأل عنها لوصلت عَدْبَتِي إلى قرن الثور^(٢) .

بي - مكاتته العلمية وثقافته :

كان ركن الدين - رحمه الله - نحويًا ، صرفيًا ، لغويًا ، أدبيًا ، فقيها . يضاف إلى ذلك أنه كان عالمًا في المنطق والطب وعلم الكلام ، وله تصانيف مفيدة في كل هذه المجالات ، سوف نتحدث عنها في موضعها من هذا المبحث . إن شاء الله تعالى .

وهذا يعني أنه كان على جانب عظيم من الثقافة والاطلاع . قال صاحب أعيان الشيعة :^(٣) كان تلميذ المحقق الطوسي الخواجة نصير الدين ومن أخص أصحابه ومثله في التحقيق وكان علامة في العلوم العقلية والنقلية^(٤) .

وقال كخالة في معجم المؤلفين^(٥) : « عالم مشارك في النحو والتصريف والفقه والمنطق والطب والكلام والأصول » .

وسوف تبرز مكاتته العلمية بصورة أوضح من خلال ما سوف نعرضه من آراء العلماء فيه

1 - عَدْبَةٌ كُلُّ شَيْءٍ : أعلاه أو طرفه . ينظر : القاموس المحيط / عذب / ١ : ١٠١ . ويقصد بها ما هنا : خرقه

اللواء ؛ أي : العمامة .

2 - أعيان الشيعة : ٢٣ / ١٤٥ .

3 - ١٩٦ / ٣ .

وذلك في موضعه من بحثنا هذا، إن شاء الله تعالى .

فإن قيل : من أين استمدَّ ركن الدين ثقافته ؟ قلنا : إنه اشتغل على النصير الطوسي وحضَّ منه علوماً كثيرة ، لدرجة أنه صار معيداً في درس أصحابه .

يضاف إلى هذا أنه قد شغف بمصنفات ابن الحاجب - رحمه الله - وعلى وجه خاص بالكافية وشرحها ، وبالشافعية ، ومختصر ابن الحاجب في علم الأصول وهو المعروف باسم : " مختصر منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل " .

ومؤلفات ابن الحاجب هذه قد طارت شهرتها وعمت الآفاق في كلِّ الأوقات وخاصة في عصر ركن الدين الذي هو عصر ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) ، قبتناها ركن الدين ، وتلمذ عليها وصار تلميذاً لابن الحاجب بواسطة مؤلفاته هذه .

ك- مذهب ركن الدين الشافعي :

ركن الدين شافعي المذهب في الفقه ، وقد نصَّ على ذلك السبكي المتوفى (٧٧١ هـ) حيث ترجم له في كتابه طبقات الشافعية الكبرى ، وعده واحداً من أكابر علماء الشافعية ، وتابعه في هذا المقرئ (ت ٨٤٥ هـ) ، ونصَّ في كتابه السلوك على أنه كان مدرساً للشافعية . وتابعهما في ذلك إسماعيل البغدادي في كتابه هدية العارفين . يضاف إلى ذلك أنه شرح واحداً من أهم كتب الشافعية وهو كتاب الحاوي الصغير في فقه الشافعية للقرئيني (ت ٦٦٥ هـ) (١) .

1 - ينظر: الأعلام: ٢/ ٢٢٣ .

وأيضًا نجدّه يستشهد بكلام الإمام الشافعي؛ حيث أورد له شاهدًا في الوافية^(١) بعد أن استشهد به في البسيط^(٢)، وهو قول الشافعي - رحمه الله:

وَلَوْلَا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ^(٣)

- صلة ركن الدين بالمذهب المالكي:

اتصل ركن الدين بالمذهب المالكي عن طريق الإمام ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) حيث إن المعروف عن ابن الحاجب أنه اشتغل بالفقه على مذهب الإمام مالك - رضي الله عنه -^(٤) وفيه صنف غالب مؤلفاته ومن بينها كتابه منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل ومختصره؛ وهما كتابان في أصول الفقه المالكي. وقد تناول ركن الدين هذا المختصر الأصولي بالشرح، وسمى شرحه: حل العقد والعقل في شرح مختصر منتهى الوصول والأمل. ومن هنا جاء اتصال عالمنا ركن الدين بمذهب الإمام مالك رحمه الله.

- اتصاله بالشيعة:

إن أحدًا لم يذكر إن ركن الدين الأستراباذي كان متشيعًا؛ بل كان الرجل سلفيًا من أهل السنة

1- ص ٧٢.

2- ١٣٦/١.

3- ديوان الإمام الشافعي ص ٧٣.

4- ينظر: وفيات الأعيان: ٢٤٨/٣.

يتبع مذهب الإمام الشافعي - كما ذكرنا . إذن فمن أين جاء اتصاله بالشيعة ؟

أقول : إنه اتصل بالشيعة من الطرق التالية :

- أ - تلمذته على نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) ، وكان النصير الطوسي شيعياً تحدد مذهبه السياسي بتمييزه الشديد للأثنى عشرية ، مما يؤهله لمقعد الزعامة للشيعة الإيرانية بفضل مواهبه وتفنته في علوم شتى ^(١) .
- ب - ألف كتاباً أسماه (نهج الشيعة) ألفه باسم السلطان إدريس بهادر خان ^(٢) ، ووضح أنه ألفه لكسب رضا هذا السلطان الشيعي .
- ج - محاولة علماء الشيعة جاهدين أن يستخلصوه لأنفسهم ، فيجعلوه من أعيان الشيعة ، ويترجم له العالمي في كتابه أعيان الشيعة ^(٣) .
- ولعل الذي دفع العالمي لترجم لركن الدين في أعيان الشيعة أنه عرف من أخباره أنه كان تلميذ الخواجة الطوسي المفضل ومن أخص أصحابه ، ومثله في التحقيق على حد تعبيره ^(٤) .
- يضاف إلى ذلك ما عرف عن أسرته ؛ حيث كان جده الأدنى علي بن الحسين شرف الدين

1 - ينظر أعيان الشيعة : ٤٦ / ٤ - ١٩ .

2 - ينظر المصدر السابق : ٢٣ / ١٤٥ .

3 - في : ٢٣ / ٧٠ ، ١٤٥ - ١٤٦ .

4 - المصدر السابق .

شاه، من علماء الشيعة، ذكر ذلك صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة^(١).

وكذلك ما عرف عن ركن الدين من أنه كان فارسي الأصل. وبلاد فارس كانت

مرتبة للشيعة بوجه عام، وإن كانت مدينة (قُم) مركزاً للعصية الشيعية منذ زمن بعيد^(٢)،

وهي في بلاد فارس بُصَاهِي الكوفة في العراق^(٣).

خلاصة القول في عقيدته وهواه:

بعد ما ذكرناه حول عقيدته ومذهبه الفقهي والأدلة التي ذكرناها تأييداً لما ذهبنا إليه يمكننا

القول بأن ركن الدين كان مسلماً متديناً ورعاً تقياً سلفياً يتبع مذهب أهل السنة على مذهب

الإمام الشافعي، وليس شيعياً بالرغم من صلته بالمتشيعين. ويؤيد ذلك أننا نراه يستشهد

بالحديث النبوي الشريف على القواعد النحوية وأيضاً بكلام الصحابة مثل عمر بن الخطاب وابن

الزبير - رضي الله عنهما - وأيضاً يستشهد بكلام لابن عباس - رضي الله عنه - كما

سنوضح في الفصل الخاص بالشواهد النحوية، ولم نره يستشهد بكلام للإمام علي - رضي الله

1 - هو الشيخ أغا بزرك الطهراني. استغرق ستة وعشرين عاماً في تأليف كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة من

سنة ١٣٢٩ هـ إلى سنة ١٣٥٥ هـ. ينظر الكلمة التي كتبها الأوربادي عن حياة المؤلف في مقدمة الكتاب.

2 - ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية للمستشرق الروسي (ف. بارتولد) ترجمة حمزة طاهر ص ٦٣ - ط ٢.

3 - ينظر: الفهرست لابن النديم ص ٩٨ / ط. الرحمانية. وينظر كذلك: الفن ومذاهبه في الشعر، د. شوقي

ضيف، ص ٢٠٣.

عنه. بعكس عالم آخر هو الرضي الأستراباذي الذي عاصره وظهرت نزعته الشيعية بصورة كبيرة من خلال ما استشهد به في مواطن كثيرة من كلام الإمام علي - كرم الله وجهه .

ل - شيخ ركن الدين وتلاميذه :

أولاً - شيوخه :

لم تذكر لنا كتب التراجم التي ترجمت لركن الدين من شيوخه سوى العلامة نصير الدين الطوسي وسيف الدين الأمدي ، وكذلك لم يشر ركن الدين في مؤلفاته التي وصلت إلينا إلى واحد من شيوخه الآخرين . ولكنني أرجح أنه تلمذ أيضاً على الإمام ابن الحاجب . فإن قيل : ما السبيل إلى هذا الترجيح ؟ قلنا : إننا لو تأملنا ميلاد كل من الطوسي وابن الحاجب وركن الدين ، وكذلك تاريخ وفاتهم ، لوجدنا أنهم تعاصروا ؛ فالطوسي ولد سنة ٥٩٧هـ وتوفي سنة ٦٧٢هـ ، وابن الحاجب ولد سنة ٥٧١هـ وتوفي سنة ١٤٦هـ ، وركن الدين رجحنا أنه ولد حول سنة ٦٠٠هـ تقريباً ؛ حيث ترجم له ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، وتوفي سنة ٧١٥هـ وكا : من المعمرين ، وقد شاخ على حد عبارة ابن العماد الحنبلي . وقد تعرف الطوسي إلى كافيته ابن الحاجب وشرحها ، ومن هذا الشرح نسخة في الأسكوريال ثان رقمها (١٩١) (١) . وأيضاً تعرف ركن الدين على الكافية وشرحها ثلاثة شروح ، وشرح الشافية شرحاً واحداً ، وشرح

مختصر المنتهى الأصولي له أيضًا . أقول: فكيف عشر الطوسي وركن الدين على مؤلفات
معاصرهم ابن الحاجب في زمن يصعب فيه نشر الكتب وتداولها وطباعتها إلا أن يكونوا قد
تقابلوا وتدارسوا هذه الكتب ؟ .

وعلى كل فهذا مجرد ظن وترجيح وإن لم يكن ركن الدين قد تلمذ مباشرة على ابن
الحاجب فقد تلمذ عليه بطريق غير مباشر، أعنى: تلمذ على كُتبه التي تبناها وجمعها
وقراها وأفاد منها ودرسها وشرحها، وهذا مما لا شك فيه . ويؤكد اهتمامه بجمع كتب ابن
الحاجب وبخاصة نسخ الكافية وشرح المصنف لها ما قاله في الوافية^(١) حيث قال ما نصه: "
اعلم أنني وجدت نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه كان "على الأفصح" بعد قوله "
والآخر الهمة" . وكان فيها بدل قوله ((ومن ثم لم يحز)) : ((ومن ثم ضعف)) ، وهو قريب من
الأول، لكن شرح المصنف يوافق ما ذكرناه أولاً .

وعلى كل فسوف نعدّه واحداً من شيوخه الذين تلمذ على كتبهم إن لم تكن تلمذة مباشرة،
وفي سطور موجزة تقدّم ترجمة مختصرة للطوسي ولابن الحاجب، وليبدأ بالطوسي؛ حيث
لاشك في أنه تلمذ عليه مباشرة:

١- نصير الدين الطوسي : هو أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن أشهر علماء القرن السابع

الهجري ، فيلسوف ، فلكي ؛ إذ كان رأساً في العلوم العقلية وعلامة بالأرصاد والمجسطي

والرياضيات . وهو إخباري متعدّد الجوانب ، وهو سياسي شيعي^١ . ولد بطوس في

الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٥٩٧ هـ / الثامن عشر من فبراير سنة ١٢٠١ م .

ودرس علوم اللغة من نحو وصرف وأدب بعد دراسته للقران الكريم ، وتوفّي ببغداد في

الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ - السادس والعشرين من شهر يولية سنة ١٢٧٤ م .

وكانت منزلته عالية عند هولاءكو ، فكان هولاءكو يطيعه فيما يشير به عليه ، حتى بنى له

مرصداً عظيماً في مراغة ، واتخذ خزانة مملأها بالكتب التي تُهبّت من بغداد والشام وشبه

الجزيرة العربية ، اجتمع فيها من الكتب نحو أربع مائة ألف مجلد وقرر منجمين لرصد الكواكب ،

وجعل أوقافاً تقوم بمعاشهم ، وكان هولاءكو يمدّه بالأموال . وصحبه في غزو بغداد . وقيل إن

الطوسي هذا هو الذي أشار على هولاءكو بقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله ، بعد دخول

بغداد ، وساعده في ذلك الوزير ابن العلقمي^(١) .

وقد تحدّد مذهبه السياسي بتحيزه الشديد للأئمة عشرية مما بوّاه مقعد الزعامة للشيعنة

الإيرانية بفضل مواهبه وتفنته في علوم شتى .

1 - ينظر: البداية والنهاية ، لابن كثير: ٢٠١/١٣ .

وللطوسي مصنّفات كثيرة جداً في كل فروع المعرفة جاوزت المائة بين كتاب ورسالة ومقالة في مختلف المواضيع، وباللغتين العربية والفارسية، حيث صنّف في الحكمة والفلسفة والهيئة والنجوم والرياضيات والطبيعات والعلوم الدينية وعلوم العربية وغيرها. ومن مؤلفاته التي لا تحصى: شرح كافية ابن الحاجب^(١)، وشكل القطاع، وتجريد العقائد، وتلخيص المحصل، ورسالة في الموسيقى شرحها. وغير ذلك^(٢)،^(٣).

٢- السيف الأمدي: هو: علي بن علي بن محمد بن سالم التلي، الإمام أبو الحسن، سيف الدين الأمدي المشهور صاحب التصانيف الكثيرة. ولد بـ (آمد) سنة ٥١١ هـ وتوفي بها سنة ٦٣٦ هـ. وقد نص السيوطي^(٤) على أن ركن الدين قد أخذ عنه.

وللرجل مصنّفات مفيدة منها: الباهر في علم الأوائل والأواخر، وأبكار الأقلاب في أصول الفقه، والحقائق في علوم الأواخر، واحكام الأحكام في أصول الفقه، وغير ذلك^(٥).

1 - ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥/٣١٠. وينظر مؤلفاته في هذا المصدر في: ١/٥٠٨.

2 - في فوات الوفيات، لابن شاکر الكبي، فصل عن نصير الدين الطوسي ومصنّفاتة؛ ينظر: ٢/٢٤٦-٢٥٢.

3 - ينظر ترجمته في: الأعلام: ٧/٢٥٧-٢٥٨، وأعيان الشيعة: ٤٦/٤-١٩، ومعجم المؤلفين: ١١/٣٠٧،

ودائرة المعارف الإسلامية: ١٥/٣٧٨-٣٨٢.

4 - في بغية الرعاة: ١/٥٢٢.

5 - ينظر في ترجمته: لسان الميزان: ٣/١٣٤-١٣٥، ومفتاح السعادة: ٢/١٧٩، والأعلام: ٥/٥٣.

٣- ابن الحاجب : هو أبو عمرو، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، جمال الدين الدوني^(١) الكردي الأصل، المشهور بابن الحاجب . وقد اشتهر بذلك؛ لأن أباه كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي . وولد بإسنا بصعيد مصر سنة ٥٧٠ هـ، ونشأ بالقاهرة ثم هاجر إلى دمشق، ومات بالأسكندرية سنة ٦٤٦ هـ، وله مؤلفات كثيرة جداً وعظيمة في مختلف المجالات تدل على غزارة علمه ودقه فهمه، من بينها المقدمة الكافية في النحو، والشافية في الصرف، وشرحهما، والإيضاح في شرح المفصل للزحشري، ومنتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، ومختصره المعروف بمختصر المنتهى الأصولي، وغير ذلك مما يضيق المقام عن حصره^(٢) .

1- قال ابن فرحون في الديباج المذهب ٢/٨٩: "ودونه موضع الأكراد ببلاد المشرق" .

2- ينظر ترجمة ابن الحاجب في:

- وفیات الأعيان، لابن خلكان (ت ٥٨١ هـ) : ٣/٢٤٨ . تحقيق إحسان عباس / دار الثقافة العربية .
- الطالع السعيد، للإدقوي (ت ٦٤٨ هـ) ، ص ٣٥٦ . تحقيق سعد محمد حسن الدار المصرية للتأليف / سنة ١٩٦٦ م
- البداية والنهاية، لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، ١٣/١٧٦ .
- الديباج المذهب، لابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ) : ٢/٨٦ . تحقيق الأحمدى أبو النور / دار التراث بالقاهرة .
- مفتاح السعادة، طاش كبري زادة (ت ٩٦٨ هـ) ١/١٣٩ . دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
- شذرات الذهب، لابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) : ٥/٢٣٤ .
- روضات الجنات، للخوانساري (ت ١٣١١ هـ) : تحقيق أسد الله إسماعيليان / قم سنة ١٣٩٢ هـ .
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان : ٥/٣٠٨-٣٤٣ .

ثانياً - تلاميذه .:

لم تذكر لنا كتب التراجم من تلاميذ ركن الدين سوى تاج الدين الأردبيلي ، وإن كنت أرى أنه تتلمذ على يديه كثير من أهل العلم والفضل ، بدليل قول ابن حجر - وهو بصدد ترجمه : " وتخرَّج به جماعة من الفضلاء " (١) .

١- تاج الدين الأردبيلي : هو تاج الدين ، أبو الحسن ، علي بن عبد الله أبي الحسن (٢) ابن أبي بكر ، الأردبيلي ، التبريزي ، الشافعي ، عالم جامع لأنواع العلوم : النحو ، الفقه ، التفسير ، الحديث ، الأصول ، الحساب ، الهندسة ، الكلام ، الطب .

ولد في أردبيل بأذربيجان سنة ٦٧٧هـ (٣) ، وسكن تبريز ، ورحل إلى بغداد فمكث حاجاً فمصر ، وتوفى بالقاهرة في رمضان سنة ٧٤٦هـ ،

أخذ النحو والفقه عن عالمنا ركن الدين الأستراباذي (٤) وقرأ عليه شرحه للكافية ، وله شيخوخة في مختلف العلوم والفنون . وله مؤلفات كثيرة منها : حاشية على شرح الحاوي الصغير

• ابن الحاجب النحوي : آثاره ومذاهبه ، طارق عبدعون الجنابي دار التربية ببغداد .

1- الدرر الكامنة : ١٦/٢ .

2- وفي الأعلام (١٢١/٥) : (أبو الحسن) .

3- وفي الشذرات ٦/١٤٨ : " ولد سنة ٦٦٧هـ) .

4- وتاج الدين الأردبيلي المترجم له : شيخ العلامة ابن هشام الأنصاري (٧٠٨هـ - ٧٦٦هـ) تعلم النحو والفقه على ركن

الدين الأستراباذي ، وعلمه لتلميذه ابن هشام ، وعلى هذا يكون ابن هشام تلميذا غير مباشر الركن الدين الأستراباذي .

للقزويني - في الفقه الشافعي . ومبسوط الأحكام ، ومختصر علوم الحديث لابن الصلا ،
والتذكرة في الحساب . وغير ذلك كثير ^(١) .

م- وفاته:

اختلف المؤرخون حول السنة التي توفي فيها عالمنا ركن الدين وكذلك حول الشهر
الذي توفي فيه ، والأكثرون على أنه توفي سنة ٧١٥ هـ ، وهذا ما ذكره السبكي (ت ٧٧١ هـ)
في طبقات الشافعية الكبرى ^(٢) والمقرئبي (ت ٨٤٥ هـ) في السلوك ^(٣) ، وابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)
في الدرر الكامنة ^(٤) ، وتابعهم في التصريح بهذا التاريخ إسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)
في هدية العارفين ^(٥) .

وهناك من عيّن الشهر الذي توفي فيه في هذه السنة (٧١٥ هـ) ؛ حيث ذكر ابن تغري
بردي أنه توفي في صفر سنة ٧١٥ هـ ^(٦) ، وهو عين ما أثبتّه العيني في عقد الجمان . وذكر

1- ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/ ٧٢-٧٤، والأعلام: ٥/ ١٢١، وهدية العارفين: ١/ ٧٧١٩، ومعجم

المؤلفين: ٧/ ١٣٤ .

2- في: ٩/ ٤٠٧-٤٠٨ .

3- ٢/ ١٥٨ .

4- ٢/ ١٧ .

5- ١/ ٢٨٣ .

6- ينظر النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣١ .

ابن رافع في ذيل تاريخ بغداد أنه توفِّي في الرابع عشر من صفر سنة ٧١٥ هـ .

وقد اضطرب المتأخرون في تحديد السنة التي توفِّي فيها ؛ حيث ترجم له ابن العماد

مرة تحت وفيات (٧١٥ هـ) وأخرى تحت وفيات (٧١٨ هـ) . وذكر حاجي خليفة أنه توفِّي

سنة ٧١٥ هـ^(١) . وهذا ما نصَّ عليه عمر كحالة في معجم المؤلفين^(٢) .

ونحن نرجح أنه توفِّي سنة ٧١٥ هـ . وهو الرأي الذي عليه الأكثر من المتقدمين الذين هم

أقرب زحماً إليه ، وكانت وفاته في مدينة الموصل في الرابع عشر من شهر صفر عند مشهد الكفّ

وكانت جنازته مشهودة ، رحمه الله رحمة واسعة^(٣) .

ن - آراء العلماء فيه :

عرف القدماء مكانه ركن الدين ، وكذلك المحدثون ، فكان له من الثناء والتقدير

والإعجاب من هؤلاء وأولئك ، ما رأينا يتفق في جملة مع شخصيته وعبقريته ، وسنورد بعض

1 - ينظر : كشف الظنون ، ص ١٢٧٣ ، ١٦٤٨ .

2 - في : ١٩٦/٣ .

3 - ينظر ترجمة ركن الدين في : معجم الأدباء : ٥/٨ ، تمة المختصر بأخبار البشر : ٢/٢٦٣ ، طبقات الشافعية الكبرى :

١٩/٤٠٧ - ٤٠٨ ، السلوك في معرفة دولة الملوك : ٢/١٥٨ ، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهاب : ٦/٨٦ ، الدرر

الكامنة : ٢/١٦ - ١٧ ، النجوم الزاهرة : ٩/٢٣١ ، بغية الوعاة : ٢/٢١٨ ، كشف الظنون ص ١٢٧٣ ، ١٦٤٨ ، شذرات

الذهب : ٦/٣٥ ، الأعلام : ٢/٢٢٣ ، هدية العارفين : ١/٢٨٣ ، أعيان الشيعة : ٢٣/٧٠ ، ١٤٥ ، معجم المؤلفين : ٣/

١٩٧ ، ١٩٦ .

ما قيل فيه، وفاءً بحجته، ومشاركة في التقدير والإعجاب من جهة، واستيفاء للبحث من جهة أخرى، مع الوقوف عند بعض النصوص ومناقشتها كلما دعا الأمر إلى ذلك ثم التعقيب عليها في النهاية لإبداء رأينا الخاص في مثل هذه الآراء مدحاً أو قدحاً .

والآن أكتفي بهذه العجالة، وأدلف إلى ما نحن بصدد من البيان :

فهذا ياقوت الحموي ت : ٦٢٦ هـ ، ذلك الذي عاصره ، يصفه بقوله : « النحوي ، اللغوي ،

الأديب ، حسنة طبرستان ، وأوحد ذلك الزمان »^(١) .

ويقول السبكي (ت ٥٧٧١ هـ) : « وكان جليل القدر ، معظمًا عند ملوك الزمان ، حسن

السمت والطالع »^(٢) .

وقال المقرئ (ت ٨٤٥ هـ) في السلوك^(٣) : « عالم بالموصل ومدرس الشافعية . . .

وتقدم عند التار ، وتوفرت حرمة ، وبرع في علوم المعقولات وكان يجيد الفقه وغيره » .

وقال ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : « كان من كبار تلامذة النصير الطوسي وكان مبدعًا عند

التار ، وتخرج به جماعة من الفضلاء »^(٤) .

1- معجم الأدباء : ٥ / ٨ .

2- طبقات الشافعية الكبرى : ٤٠٧ / ٩ .

3- ١٥٨ / ٢ .

4- الدرر الكامنة : ١٦ / ٢ .

وقال ابن تَغْرِي بَرْدِي (ت ٨٧٤هـ) : «الشيخ الإمام العلامة السيد ركن الدين : كان إماماً مصتفاً عالماً بالمعقول»^(١) .

ويقول إسماعيل بن علي الذي شرح أبيات شواهد الوافية ، وسماه (كشف الوافية في شرح الكافية) : وكان كتاب الوافية ، للسيد العلامة ، قدوة العلماء والمتبحرين ، زبدة المتقدمين والمتأخرين ركن الملة والدين - أسكبه الله تعالى مجابيح جناته - دستوراً في هذا الفن ؛ إذ به يعرف أكثر مسائله ، ومشهوراً ؛ إذ كل واحد يستضيء بنور معالمه مع ما للطلبة من الحرص عليه وقرائه والشغف بدراسته^(٢) .

ويصفه ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) بأنه كان «علامة متكلماً ، نحوياً ...»^(٣) .
ويقول العاملي : «كان تلميذ المحقق الخواجة نصير الدين ، ومن أخص أصحابه ومثله في التحقيق . وكان علامة في العلوم العقلية والنقلية»^(٤) .

وجدير بركن الدين أن يكون موضع تقدير الجميع ؛ فهو من عرفت علماً وخلقاً وتديناً ، وتواضعاً ، ولعل ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) قد أكشف مواهبه المبكرة واتصل به عن قرب

1- النجوم الزاهرة: ٢٣١/٩ .

2- مقدمة كشف الوافية في شرح الكافية .

3- شذارت الذهب: ٣٥/٦ .

4- أعيان الشيعة: ١٤٥/٢٣ .

وعرف عنه من العلم والفضل أكثر مما عرفناه بكثير، فأطلق عليه عبارته المشهورة التي حفظها التاريخ الطويل وسوف يحفظها للأجيال اللاحقة إن شاء الله، وهي عبارته التي يصف فيها ركن الدين بقوله: ^[1]التحوي، اللغوي، الأديب، حسنة طبرستان، وأوحد ذلك الزمان".

وقد أعجب العلماء بنحور ركن الدين، لدرجة أننا نرى بعضهم من شدة إعجابهم بما كتبه ركن الدين - تشدق قريحته، فينشد شعرا يصح فيه بأنه من أراد نحواً مهذباً فعليه بكتاب المتوسط، لركن الدين، ويصح ثانية بأن من يريد نحو الأعلالي فعليه بمقال ركن الدين في المتوسط استمع إليه وهو يقول عن كتاب المتوسط:

يَا مَنْ يَهْدِي مَطْعَمًا بِالتَّحْوِذِ بِالْحَاجِيَّةِ وَأَمْشِ فِي الْمَوْسِطِ

لَإِنَّ التَّيْجَةَ لَا يَهْوُرُ هَدْفُهَا مَنْ لَمْ يَهْزُ يَوْمًا خَيْرَ أَوْسَطِ

لَا تَطْلُبِ الْأَعْلَى فَإِنَّ مَتَالَهُ صَعْبٌ وَلَا تَرْضَ الْمَذِلَّ فَتَسْقُطِ

فَالْحَيْرُ فِي وَسْطِ الْأُمُورِ وَأَتَيْ شَاهَدَتْ كُلَّ النَّفْعِ فِي الْمَوْسِطِ

يَا قَاصِدًا نَحْوِ الْأَعْلَى جَاهِدَا فِي التَّحْوِذِ مِنْهُ بَرَجِهِ أَحْوِطِ

بِالْحَاجِيَّةِ خُذْ وَمَنْ فِي حِلْمَا بِمَقَالِ رُكْنِ الدِّينِ فِي الْمَوْسِطِ

هذا إلى أنني لست أزعم أن صاحبي ركن الدين مبرأ من كل عيب، فما هو بمعصوم ولقد

أخذت عليه أنه كان - مع دقه الشديدة - غير دقيق في مسألتين اثنتين: إحداهما: تتعلق

بنسبة رأي إلى صاحبه ، حيث ذكر أن عيسى بن عمر ، وأبا العباس المبرد ، كانا يريان أن المؤنث إذا سُمي باسم مذكر ، على ثلاثة أحرف ساكن الوسط ، مثل زيد ونحوه ، يمنع الصرف فقط ^(١) . ولكي رأيت أنهما يجوزان الأمرين في هذه المسألة ، مع ترجيح الصرف .

والثانية ^(٢) تتعلق بنسبة قراءة إلى صاحبها ، وهي قراءة قوله تعالى : **﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ﴾** ^(٣) . ببناء **﴿يُسَبِّحُ﴾** للمفعول ، فقد نسب هذه القراءة لعاصم وابن عامر .
والحق أنها قراءة ابن عامر وأبي بكر ، أما قراءة حفص التي رواها عن عاصم فهي **﴿يُسَبِّحُ﴾** بالبناء للفاعل .

وسوف تحدث عن هذين المأخذين في موضعهما من الكتاب إن شاء الله تعالى .

وعلي كلِّ فمأخذ في كتاب البسيط - على ضخامته ، ومأخذ آخر في كتاب الوافية لا يقلان مجال من الأحوال من شأن عالمتنا الكئيز .

فلست إذن بالغاوي ولا المتعصب ، ولكنها بموضوعية شديدة ، الصورة التي انطبعت في نفسي وذهنني ، بعد دراسة شخصية الرجل دراسة فاحصة واعية فيما أحسب .

1- ينظر البسيط : ١٠ / ١٥٠ .

2- في الوافية ، ص ٤٩ .

3- سورة النور : من الآيتين : (٣٦ ، ٣٧) .

وفي نهاية المطاف ، أعود فأقول : رحم الله أبا علي ، لقد كان شخصية قوية في جين التاريخ
أحبها الجميع فآثروا عليه ثناء حاراً مستقيماً ، وأعترف أنني مستريحٌ الآن ، بعد أن كشفت
النقاب عن شخصية كهذه عرفها القدماء فاعترفوا بفضلها ، ولم يكن المحدثون يعرفونها فبعضهم
ظنّه الرضي ، وبعضهم لم يظنّه شيئاً ..

المبحث الثاني

آثاره. (الموجود منها والمفقود).

حَفِظَ التَّارِخُ لِرُكْنِ الدِّينِ أَسْمَاءَ بَعْضِ آثَارِهِ، فَذَكَرَ لَهُ يَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الأَدْبَاءِ اثْنَيْنِ مِنَ المَوْلفَاتِ^(١) وَارْتَفَعَ بِهَا السَّبْكِ إِلَى سَبْعَةٍ^(٢)، وَذَكَرَ المَقْرِزِي مِنْ تِلْكَ السَّبْعَةِ سِتَّةَ فَقطِ^(٣)، وَذَكَرَ ابْنَ حِجْرٍ سَبْعَةَ مِنْ هَذِهِ المَوْلفَاتِ^(٤)، وَأَمَّا ابْنُ تُقْرِي بِرْدِي فَقَدْ ذَكَرَ ثَمَانِيَةَ مَوْلفَاتٍ، وَأَرَدَفَ ذَلِكَ بِعِبَارَةٍ: "وَعَدَّةٌ تَصَانِيفٌ أُخْرَ ذَكَرْتَاهَا فِي غَيْرِ هَذَا الكِتَابِ"^(٥). وَأَمَّا صَاحِبُ أَعْيَانِ الشَّيْخَةِ فَقَدْ بَلَغَ بِهَا سِتَّةَ عَشْرٍ مَصْنُفًا^(٦).

وَمَا لَاحِظُهُ أَنِ العَدِيدَ مِنْ كُتُبِ التَّرَاجِمِ كَانَتْ تَرَدِّفُ مَا تَقُولُهُ بِشَأْنِ هَذِهِ المَوْلفَاتِ بِالعِبَارَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي دَرَجَ عَلَيهَا المُرْجَمُونَ حِينَما يَقُولُونَ "وغير ذلك" فليتهم ذكروا كل ما وقفوا عليه وأراحوا من جاء بعدهم من عناء كثير.

1- ينظر: ٥/٨.

2- ينظر طبقات الشافعية الكبرى: ٤٠٧/٩.

3- ينظر السلوك: ١٥٨/٢.

4- ينظر الدرر الكامنة: ١٦-١٧.

5- النجوم الزاهرة: ٢٣١/٩.

6- ينظر أعيان الشيعة: ١٤٥/٢٣.

وقد رأيت أن أتبع آثاره في كل ما وقع تحت يدي من كتب التراجم وغيرها فوجدتها بلغت العشرين، بالرغم من أن معظم المراجع التاريخية - عدا ما ذكرناه - لا يكاد يشير إلا إلى التزوير اليسير من آثار ركن الدين، وأحياناً يطوي الحديث فلا يصرح بكثير أو قليل. على أن جل هذه الآثار قد عدت عليها العوادي فطواها الزمن فيما طوى من ذخائر، ولم يصل إلينا إلا كتب أربعة. سنعوض لها عما قريب بالدراسة والتفصيل والتحليل لنكشف النقاب عن جهوده في الميدانين، النحوي والصرفي.

وقد حاولت جاهداً أن أعرف تاريخ تأليف كل كتاب على حده، ليكون تاريخ الإنتاج أساس هذا الترتيب، ولكن عبثاً حاولت، وحين عزت على ذلك عمدت إلى ترتيبها حسب أحرف الهجاء. هذا وسأحاول جاهداً أن أوثق نسبة كل كتاب إلى ركن الدين، وذلك بذكر المراجع التي أشارت إليه، وبالتصوص التي نقلت منه، كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وإليك هذه الآثار:

١- الاختيارات النحوية:

صنّفه ركن الدين وأهداه للسلطان الملك المظفر صاحب ماردين. ذكره العيني في (عقد الجمان) ^(١).

والكتاب بعد مفقود بحث عنه كثيراً، وقسّمت عنه في جميع المكتبات العامة، لكن دون جدوى.

٢- البسيط:

ويسمى " الشرح الكبير " : وهو شرح مطوّل على الكافية لابن الحاجب . وهو واحد من شروح ثلاثة له على الكافية .

وستنصل القول في هذا المصنف بعد الفراغ من عدِّ مصنفات ركن الدين ؛ إذ إنه من الكتب التي وصلت إلينا . . .

٣- حلّ العُقَد والعَقَل في شرح مختصر منتهى الوصول والأمل :

وهو شرح على كتاب : مختصر منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل للإمام ابن الحاجب . وهو كتاب في أصول الفقه المالكي .

وقد ذكره المقرئ في " السلوك " ، وابن حجر في " الدرر الكامنة " ^(١) ، وابن تقي بردي في " النجوم الزاهرة " ^(٢) والبغداد في " هدية العرفين " ^(٣) .

وجاء في كشف الظنون (ص ١٨٥٣) ما نصّه : " . . . ومن شرحه - يعني : مختصر المنتهى لابن الحاجب - السيد ركن الدين الأسترابادي . أوله : أما بعد حمد الله خالق الصور والأشباح . . الخ . سماه : حلّ العُقَد والعَقَل في شرح مختصر الوصول

١- ١٧/٢

٢- ٢٣١/١

٣- ٢٨٣/١

والأمل ، ذكر في أوله اسم السلطان الملك المظفر قرأ أرسلان بن السيد نجم الدين
الغازي الأرتقي الذي تولى الملك على ماردين سنة ٦٥٣هـ وكانت وفاته سنة ٦٩١هـ
. والكتاب من الذخائر المفقودة .

٤- حواش على التجريد ، للطوسي :

وهي حواش على كتاب : تجريد العقائد ، لنصير الدين الطوسي ، ويعرف أيضاً بتجريد
الكلام . ذكره العالمي في أعيان الشيعة^(١) .
وهذه الحواشي جمعها في كتاب ، وهو مفقود .

٥- حواش على كليات القانون :

ذكره العالمي في أعيان الشيعة^(٢) ، وهو مفقود .

٦- الزنيّة : وهي مقدمة في النحو ، ذكرها العيني في عقد الجمان^(٣) وتابعه العالمي في
أعيان الشيعة^(٤) وهذه المقدمة من الذخائر العلمية المفقودة .

1- ينظر ٢٣/١٤٥ . ويوجد من كتاب التجريد للطوسي نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٠٥) علم

كلام طلعت . تقع في (٣٣) ق .

2- ينظر ٢٣/١٤٥ .

3- ٢٩٦/٢ .

4- ٢٣/١٤٥ .

٧- شرح الحاوي الصغير: وهو شرح على كتاب "الحاوي الصغير"^(١)، للإمام عبد الغفار بن الكريم بن عبد الغفار نجم الدين، المعروف بالخطيب القزويني المتوفي سنة ٦٦٥ هـ. وهو كتاب في الفقه على المذهب الشافعي.

وذكر ابن حجر العسقلاني أن ركن الدين قد شرح الحاوي شرحين^(٢).

وذكر إسماعيل البغدادي في هدية العارفين: أن هذا الشرح في أربعة مجلدات^(٣).

وذكر هذا الشرح أيضاً السبكي في طبقات الشافعية الكبرى^(٤) والمقرئ في كتابه السلوك لمعرفة دولة الملوك^(٥) وهو يُعدُّ مفقوداً.

٨- شرح ديوان الحماسة:

وهو شرح على ديوان الحماسة الذي جمعه أبو تمام خبيب أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ)^(٦).

1- من الحاوي الصغير نسختان خطيان بدار الكتب المصرية بالقاهرة، الأولى في (١٠٤) ق خط سنة ٧٨٨ هـ، برقم (١٤١)

- فقه شافعي. والأخرى في (١٠٠) ق - خط سنة ٦٧٨ هـ - برقم (١٢٣٧٣) / رمز (ب).

2- ينظر الدرر الكامنة: ١٧/٢.

3- ينظر هدية العارفين: ٢٨٣/١.

4- ينظر: ٤٠٧/٩.

5- ينظر: ١٥٨/٢.

٦- طبع ديوان الحماسة لأبي تمام، في بغداد بتحقيق د. عبد النعم أحمد صالح ونشرته دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة

وهذا الشرح مفقود، لكن ذكره ياقوت في "معجم الأدباء" (١)، والسيوطي في "تعيّة الوعاة" (٢)، وإسماعيل البغدادي في "هدية العارفين" (٣) و"كحالة في" "معجم المؤلفين" (٤). وهذا الشرح صنّفه ركن الدين في مرحلة مبكرة من حياته، أي قبل سنة ٦٢٦ هـ، التي توفي فيها ياقوت الحموي. وهذا يؤكد ما رجحناه بشأن ميلاده، وأنه كان من المعمرين.

٩- شرح شافية ابن الحاجب

وهو شرح على مقدمة ابن الحاجب في الصرف، والمعروفة بالشافية، وسوف نفرّد لهذا المصنّف حديثاً خاصاً في موضعه من هذا البحث، أي في الفصل الخاص بجهد ركن الدين في الميدان الصرفي؛ إذ إنه من الكتب وصلت إلينا.

١٠- شرح شمسية المنطق:

وهو شرح على كتاب "الشمسية" في المنطق "لأستاذه وشيخه ونصير الدين الطوسي.

الثقافة والإعلام. اعتماداً على نسخة فريدة، محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب جامعة الآداب جامعة بغداد، برواية أبي منصور موهوب ابن أحمد بن محمد بن الحضرمي الجواليقي (ت: ٥٤٠ هـ).

1- ينظر: ٥/٨.

2- ينظر: ٤٩٩/١.

3- ينظر: ٢٨٣/١.

4- ينظر: ١٩٧/٣.

ومن الشمسية نسخة خطية بمدرسة يحيى باشا بالموصل برقم (١٩) .

وشرح ركن الدين ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى وقال: "وقد وقفت

عليه" (١) . وهو بعد مفقود

١١- الشرح الصغير على كافية ابن الحاجب:

وهو شرح ثان له على الكافية، لمصنفها العلاقة ابن الحاجب وهو شرح مختصر، اختصر به مصنفه شرحه الكبير .

ولهذا الشرح حديث آخر، سيأتي في موضعه من هذا البحث (٢) - إن شاء الله تعالى .

١٢- شرح فصيح ثعلب:

وهذا الكتاب شرح فيه مصنفه ركن الدين كتاب "الفصح" في اللغة لإمام العربية أبي

العباس، أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) (٣) .

1- طبقات الشافعية الكبرى: ٩/٤٠٧ .

2- وذلك في ص ٧٥ .

3- وكتاب الفصح اختار فيه مؤلفه الفصح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس وكتبهم . ومنه نسخة خطية بدار الكعب

المصرية برقم (٤٤٦) لغة، خطت سنة ١١٧٧هـ، وأخرى بالمدينة المنورة، مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكعب

المصرية برقم (٩) رمز (س)، خطت سنة ١٢٩٨هـ ومعها شرح أرجوزة أبي نواس في غرب اللغة لابن جني، ومطلعها:

وبلدة فيها زورب صعراء تخطا في صعر

ومنه نسخة ثلاثة ضمن مجموعة محفوظات بدار الكعب المصرية برقم (١٥) رمز (س)، كتبت سنة ١٣٠١هـ .

وذكره ياقوت في معجم الأدياء^(١)، والسيوطي في بغية الوعاة^(٢)، وحاجي خليفة في كشف الظنون^(٣)، والبغدادي في هدية العارفين^(٤). وكحالة في معجم المؤلفين^(٥). وهو من الكتب المفقودة..

١٣- شرح قواعد العقائد، للغزالي:

وهو شرح لكتاب "قواعد العقائد"^(٦) لحجة الإسلام، أبي حامد بن أحمد الغزالي (٤٥٠هـ-٥٠٥هـ). والشرح ذكره صاحب النجوم الزاهرة^(٧)، وحاجي خليفة في كشف الظنون^(٨) والبغدادي في هدية العارفين^(٩). وهو مفقود أيضًا.

وقد طبع الكتاب بليسك عام ١٨٧٦م في نحو من سبعين صفحة، ومعه مقدمة وملاحظات بالألمانية، وطبع أيضًا بالمطبعة النموذجية بمصر سنة ١٣٦٨هـ. نشره وعلق عليه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

1- ينظر ٥/٨.

2- ينظر: ٤٩٩/١.

3- ينظر، ص ١٢٨٣.

4- ينظر: ٢٨٣/١.

5- ينظر: ٢٩٦٧/٣.

6- وهو كتاب في علم الكلام حققه الأستاذ سعيد زايد. وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٠ في (١٢٨) صفحة من القطع المتوسط.

7- ينظر: ٢٣١/٩.

8- ص ١٣٥٨.

9- ينظر: ٢٨٣/١.

١٤- شرح قواعد العقائد النصيرية:

وهو شرح لكتاب "قواعد العقائد النصيرية" في علم الكلام، تأليف شيخه الخواجة نصير الدين الطوسي، كتب ركن الدين شرحه لولد أستاذه الطوسي في حياة الأستاذ، ذكر ذلك العالمي في أعيان الشيعة^(١). وهو مفقود.

١٥- شرح المطالع في المنطق - في مجلدين:

ذكر ذلك السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى"^(٢)، وكذلك ابن تغري بردي في "النجوم الزاهرة"^(٣). وهو بعد مفقود.

١٦- شرح المعالم في أصول الدين:

اختصر ركن الدين المعالم في أصول الدين، وشرحه. قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: "وقد وقفت عليه"^(٤) ولكنه لم يصل إلينا.

١٧- مرآة الشفاء في الطب:

١- ١٤٦/٢٣

٢- ينظر: ٤٠٧/٩

٣- ينظر ٢٣١/٩

٤- ٤٠٧/٩

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون^(١)، والبغداد في هدية العارفين^(٢). وهو من

الآثار المفقودة

١٨- نهج الشيعة:

ألفه باسم السلطان إدريس بها درخان. ذكر ذلك العالمي في "أعيان الشيعة"^(٣). وهو مفقود لم يصل إلينا.

١٩- الوافية في شرح الكافية (المتوسط):

وهو شرح ثالث على كافية ابن الحاجب، ويعرف بين الدارسين بالمتوسط. وستفرد له حديثاً مستقلاً في موضعه من هذا البحث - إن شاء الله تعالى^(٤)؛ إذ إنه من الآثار التي وضلت إلينا.

٢٠- له كتاب جمع فيه أسئلة كان قد سألها شيخه الطوسي، وأجاب عنها. ذكر ذلك العالمي في "أعيان الشيعة"^(٥). والكتاب من الآثار المفقودة.

1- ص ١٦٤٨.

2- ٢٨٣/١.

3- ١٤٥/٢٣.

4- ينظر ص: ٩٧.

5- ينظر: ١٤٦/٢٣.

كتاب الشرح الصغير على كافية ابن الحاجب

توثيق الكتاب:

صنف ركن الدين على كافية ابن الحاجب ثلاثة شروح: كبير (وهو المسمى بالبسيط) وصيأتي الحديث عنه أيضاً؛ إذ إنهما من الكتب التي وصلت إلينا ولم تُعدْ عليهما العوادي، وصغير لم يصل إلينا إلا اسمه، لأنه بعد مفقود.

والشرح الصغير هو الشرح الثالث لأبي علي الكافية، وهو شرح مختصر، كما قيل، ذكره السبكي (ت ٧٧١هـ) في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى"^(١) وذكره المقرئزي (ت ٨٤٥هـ) في كتابه "السلوك"^(٢) وذكره ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في كتابه "الدرر الكامنة"^(٣) وذكره ابن تقي بردي (ت ٨٧٤هـ) في كتابه "النجوم الزاهرة"^(٤) وذكره حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في كتابه "كشف الظنون"^(٥) وذكره إسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) في كتابه

1- ينظر: ٤٠٧/٩.

2- ينظر: ١٥٨/٢.

3- ينظر: ١٧/٢.

4- ينظر: ٢٣١/٩.

5- ينظر ص: ١٣٧٠.

"هدية العارفين"^(١) وذكره العاملي في كتابه "أعيان الشيعة"^(٢). وذكره بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" وأشار إلى وجود نسخة منه في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة برقم ١٥٥٥ نحو، وأحال إلى القاهرة ثان: (١٣٠/٢) وهو فهرس الخديوية الموجود بالدار، سنة ١٩٣٦ م. وأشار إلى وجود نسخة أخرى له في ميونخ (برقم ٧١٥).

وقد حصلت على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم (١٥٥٥ - نحو) والتي أشار إليها بروكلمان، وأيضًا حصلت بعد ذلك على النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنية في ميونخ بألمانيا والتي أشار إليها بروكلمان تحت رقم (٧١٥).

وبعد: فهل الكتاب المحفوظ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، تحت رقم (١٥٥٥ - نحو)، والذي حصلنا على صورة ورقية له - هو الشرح الصغير لركن الدين الأستراباذي، أم أنه كتاب آخر والتبس الأمر على بروكلمان ومن تابعه من الباحثين المحدثين.

وأبادر فأقول إن هذا الكتاب ليس هو كتاب "الشرح الصغير" الذي صنفه ركن الدين، وإنما هو نسخة من نسخ من نسخ شرح ابن الحاجب على كافيته، وهذه النتيجة قد وصلت إليها بعد رحلة طويلة قضيتها في دور الكتب والمكتبات العامة في مصر وخارج مصر (والخارج عن طريق المراسلة كما سأذكر). وأرى أنه يتحتم على قبل أن أتحدث عن رحلتي في توثيق الكتاب

1- ينظر: ١/٢٨٣.

2- ينظر: ٢٣/٧٠.

أن أشير إلى ما قاله هؤلاء الباحثون المعاصرون وقد ساروا وراء بروكلمان الذي سار بدوره وراء ما جاء في الفهرس دوناً تحقيق، حيث جاء في فهرس المخطوطات بدار الكتب (حرف ش) - في التعرف بهذا الكتاب: "الشرح الصغير على كافية ابن الحاجب تأليف: ركن الدين الحسن بن علي بن شرف شاه العلوي الحسيني الأستراباذي المتوفي سنة ٧١٥هـ، نسخة في مجلد بقلم معناد، في (١٨٠ق) برقم (١٥٥٥/نحو). عدد الأسطر (١٧) سطرًا. مكتوبة سنة (٧٣١هـ)، وبها مشها تغييرات كثيرة".

١- ذكر جمال مخيمر (محقق شرح الكافية لابن الحاجب) الشرح الصغير وأشار إلى وجود نسخة له في دار الكتب تحت رقم ١٥٥٥/نحو، وذلك وهو بصدد الحديث عن شروح الكافية^(١)، وقال في التعليق على الكتاب: "عُثرت على نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٥٥/نحو، خطت سنة ٧٣١هـ ناقصة من بدايتها صفحة واحدة، وعلى هوامشها تقييدات كثيرة"^(٢). والحق أنه لم يطلع عليها وأكتفى بالنظر في الفهرس.

١- مقدمة التحقيق، ص ٢٩.

٢- هامش رقم (٨) من المصدر السابق.

٢- وقال خالد فائق محمود (محقق كتاب الوافية) - وهو بصدد سرد شروح

الكافية: "... والشرح الصغير لركن الدين الأسترباذي . وقد مجتث رقم)

١٥٥٥/نحو) ، وبعد الاجتلاخ عليه وجدته ناقصاً ثلاث ورقات ونصف " (١)

والحق أنه لم يطلع عليه ، إذ إن الكتاب ينقص صفحة واحدة فقط من أوله ،

ليس ثلاث ورقات ونصف - أي ٧ صفحات - كما زعم الرجل .

٣- ذكره طارق عبد عون الجنابي في رسالته (ابن الحاجب النحوي: آثاره

ومذاهبه وأشار إلى وجود نسخة منه في دار الكتب تحت الرقم المذكور)

١٥٥٥/نحو) وجاء ذكره إياه وهو بصدد سرد شروح الكافية " .

٤- ذكره طارق نجم عبد الله (محقق الكافية) ، حيث قال - وهو بصدد سرد

شروح الكافية: "الشرح الصغير لركن الدين الحسن بن محمد الأسترباذي

الموتفي سنة ٧١٥ هـ ، ومنه نسخة في ميونخ برقم (٧١٥) ، وأخرى بدار

الكتب برقم (١٥٥٥ نحو) " (٢) .

٥- ذكره أيضاً عبد الحفيظ شلبي عند تقديمه للنسخة التي طبعها سلطنة عمان ،

عن نسخة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، حيث قال: "وأما

1- مقدمة تحقيق الوافية ، ص (٢٢) .

2- مقدمة التحقيق ، ص ٣٩ .

الشرح الصغير فموجود منه بدار الكتب المصرية نسخة واحدة تحت رقم (١٥٥٥) نحو " .

٦- قال محمود عبد المتعم سيد محمود (محقق البسيط) عند حديثه عن مؤلفاته : "شرح الصغير: وقد جاء في التعليق على كتاب النجوم الزاهرة: "إنه توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٥٥) نحو . وقد طلبتها تحت الرقم المذكور، فلم أجدها" (١) . والحق أنه مقصر في طلبها ، إذ إنها موجودة تحت الرقم المذكور .

٧- ذكره محقق الفوائد الضيائية للجامي ، وأشار إلى وجود نسخه منه تحت الرقم المذكور ، بدار الكتب المصرية (وهو رقم ١٥٥٥/ نحو) .

٨- بالإضافة إلى أنه جاء في التعليق على النجوم الزاهرة (٢) ، ما نصه : "توجد من الشرح الصغير نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٥٥/ نحو) .

والآن ، وبعد هذا العرض لأقوال الباحثين المعاصرين ، بشأن الكتاب أود أن اعرض -ولو بإيجاز شديد - خلاصة رحلتي في توثيق الكتاب :

١ - مقدمة لتحقيق : ٢٩/١ .

٢ - هامش رقم (٧) : ٢٣١/٩ .

١- بعد حصولي على صورة ورقية من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت الرقم المذكور (١٥٥٥/نحو) ، أخذت في البحث والتنقيب في فهرس الدار عن نسخ أخرى للكتاب تساند هذه النسخة التي حصلت عليها . إلا أن محاولتي هذه باءت بالفشل ، ولم أجد في الفهرس ما أبحث عنه .

٢- كان لزاماً عليّ بعد ذلك أن أبحث وأكرر البحث عن نسخ أخرى في مكبات العالم : فأرسلت للمتحف البريطاني بلندن ، ومعهد جوته بألمانيا ومعهد المخطوطات بالكويت ، ومكتبة الأحقاب بتريم باليمن الجنوبي ، واستأبول لاستفسر منهم عن وجود نسخ لهذا الكتاب عندهم ، فكانت إجابتهم بالنفي عدا اليمن الجنوبي الذي لم يكلف نفسه عناء الرد .

٣- عدت للبحث في المكتبة الأزهرية ومكتبة البلدية بالأسكندرية ، ومعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالمهندسين / بالقاهرة ، ولكن باءت محاولاتي بالفشل ولم أجد هذا الكتاب بين المحفوظات .

٤- عدت إلى دار الكتب المصرية ، لأكرر محاولة البحث والتفتيش والتنقيب وأخذت محاولتي هذه المرة شكلاً جديداً ؛ حيث قمت - وساعدني في ذلك السادة الموظفون في قسم المخطوطات بالدار - قمت بعمل حصر شامل لكل شروح الكافية الموجودة بالدار ، ما عرف مؤلفه منها وما جهل ، وجمعت الصور

الميكروفيليمة لجميع هذه الشروح؛ حيث استغرق هذا المسح الشامل ما يقرب من شهر معايشة تامة للدار - وكان أمني أن أجد نسخة أخرى تعضد التي في حوزتنا، خاصة وأنها تنقص صفحة من بدايتها، وليس بها عنوان أو توثيق أو ذكر لمصنفها .

٥- كان من نتائج هذه الجولة بالدار أن وجدت ثلاث نسخ من شروح الكافية لم يعلم مؤلفها، وعلى غلافها شرح الكافية لمجهول، وهذه النسخ الثلاث وجدتها مطابقة تمام التطابق للنسخة التي في حوزتنا والتي هي منسوبة لركن الدين، وهي خالية من المقدمة، وتبدأ بالشرح مباشرة فسعدت بهذا سعادة غامرة، إذ إنه قد اجتمع لديّ من هذا الكتاب أربع نسخ (والنسخ الثلاث، أرقامها: ١٢١٢ هـ، ٥٧٢٧ هـ، ٩٠٤٦ هـ وأوراقها بالترتيب ١٨ق، ٧٧ق، ٩١ق) .

٦- أخذت في متابعة البحث والتحري عن نسخ أخرى، فبعد أن أتيت على آخرها، لم يكن يتبقى أمامي سوى شرح ابن الحاجب على الكافية فطلبت النسخ الثمانية الموجودة بالدار، وقرأتها جميعا على جهاز الميكروفيلم فكانت المفاجأة؛ إذ إنها نسخ مطابقة تمام التطابق للنسخ الأربع التي معي .

٧- اجتمع لديّ آنذاك عدد (١١) نسخة لكتاب واحد: (٨) منسوبة لابن الحاجب في الفهرس وكذا على غلاف النسخ + (٣) مجهولة المؤلف؛ إذ لا يوجد اسم المؤلف في الفهرس ولا عن الغلاف وإنما هي منسوبة لمجهول + (١) نسخة منسوبة لركن الدين

وهي كما قلنا - نسخ متعددة لكتاب واحد ، قد يكون لابن الحاجب وقد يكون
لركن الدين . فكان عليّ أن أقرأ كل هذه النسخ قراءة واعية مائة لعليّ اجد أي
ضبط يوصلني إلى معرفة المؤلف الحقيقي بصورة قاطعة .

٨- وجدت من بين هذه النسخ الثمانية المنسوبة لابن الحاجب نسخة مكتوبة بخط ابن
الحاجب نفسه ، كتبها سنة ٦٢٤هـ ، جاء في ورقة العنوان ما نصّه : " شرح ابن
الحاجب على كافيته ، بخطه . ويجوار هذه العبارة عبارة أخرى ، هي : " شرح
المقدمة الكافية في علم الإعراب : تأليف الشيخ الإمام العلامة علم المحققين ولسان
المكلمين جمال الدين المعروف بابن الحاجب - رحمه الله " . وكتب على نفس
الورقة تاريخ نسخها على لسان مؤلفها ابن الحاجب ، وبخطه ، فقال : " كان الشروع
في هذه النسخة المباركة المستعان بها إن شاء الله ، شرعت فيها على عجلة مني يوم
الإثنين في بواقي خمسة أيام من شهر جمادى الأول من شهر سنة ٦٢٤هـ ، لئلا يكها
ومؤلفها وخطه ، الفقير إلى الله الراجي عفو الله الهادي أبي عمرو عثمان بن عمر
المالكى المعروف بابن الحاجب وفقه الله تعالى لما يحب ويرضى بالقرآن العظيم
والنبي الكريم . . آمين " .

وجاء في الصفحة الأخيرة ، ما نصّه : " تم الكتاب بحمد الله العزيز الوهاب وحسن
توفيقه ، فله الحمد والشكر ، وأنا أسأله التوفيق " ابن الحاجب " .

٩- أصبحت متأكدًا شبيه تأكيد من أن هذه النسخ جميعًا نسخٌ لشرح ابن الحاجب على كافيته، ولكنني بحاجة إلى مزيد من الاطمئنان، فعدت إلى جامعة الأزهر لأطلع على شرح ابن الحاجب الذي حققه الأستاذ جمال عبد العاطي مخيمر لينال به درجة الدكتوراه، فوجدته قد اعتمد على هذه النسخ الثمانية، ولم يفتن إلى النسخ الأربع الأخرى؛ لأن منها ما هو مجهول المؤلف، وواحدة منسوبة لغيره وهو ركن الدين .

١٠- عدت لأوثق الكتاب بصورة نهاية من خلال الخصائص التفكيرية، والنصوص المأخوذة من شرح الكافية للمصنف، فاطلعت على هذه النصوص في النسخة التي معنا (١٥٥٥/ نحو) فوجدتها بنصها، فتأكدت بصورة قاطعة من أن هذه النسخة الموجودة بالدار تحت رقم (١٥٥٥/ نحو) والتي في جورتنا والمنسوبة لركن الدين ما هي إلا واحدة من نسخ متعددة لشرح الكافية لمصنفها . واليك نصين من هذه النصوص، أذكر واحدًا منها وأحيل إلى الآخر إيثارًا للإيجاز .

قال ركن الدين في البسيط: (٦٠/٢) - في باب أسماء الأفعال ما نصه: " وقال المصنف في الشرح: لو قيل أن هذه الصيغة على أمر الثلاثي لم يكن بعيدًا . . . " وجاء في لوحة (١٠٠) من نسخة دار الكتب التي معنا برقم (١٥٥٥/ نحو)، ما نصه: " ولو قيل إن هذه الصيغة فعل أمر من الثلاثي لم يكن بعيدًا . . . " .

وقال ركن الدين في الوافية (ص ١٥٥، ١٥٦) ما نصه: " قوله : وما أجازة

الكوفيون . هذا جواب عن سؤال وَرَدَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مِنْ قَبْلِ ، وهو أن شرطَ
الإضافة تجريدُ المضاف من حرف التعريف والكوفيون يقولون : الثلاثة الأثواب ،
والأربعة الدهراهم والخمسة الكعب .

وأجاب عنه المصنف بأنه ضعيف ، لمخالفته القياس واستعمال الفصحاء لأن
استعمال الفصحاء : ثلاثة الأبواب . قال ذو الرمة ، شعراً :

وَهَلْ يُرْجَعُ التَّسْلِيمُ أَوْ يَدْفَعُ الْبُكَاءُ ثَلَاثُ الْأَثَابِي وَالذِّيَارُ الْبَلَاغُ

وقال الفرزدق شعراً :

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ فَسَمًا وَأَدْرَكَ خُمْسَةَ الْأَشْبَارِ

وجاء في اللوحة (٦٥) من النسخة نفسها ، ما نصّه : " قوله : وما أجازره الكوفيون من
الثلاثة الأثواب ، وشبهه من العدد ضعيف ؛ لأنهم جمعوا بين التعريفين ؛ الإضافة إلى
المعرفة ، ودخول الألف واللام في المضاف ، وليس بمستقيم ؛ لمخالفته القياس
واستعمال الفصحاء . أما القياس ؛ فلما ذكرناه . وأما استعمال الفصحاء ؛
فالمسموع منهم ثلاثة الأثواب قال ذو الرمة :

ثَلَاثُ الْأَثَابِي وَالذِّيَارُ الْبَلَاغُ

وقال الفرزدق :

فَسَمًا وَأَدْرَكَ خُمْسَةَ الْأَشْبَارِ

والذي غرَّ الكوفيين ما نقل عن قوم غير فصحاء . ووجهه في القياس ضعيف " .
والآن وبعد كل ما ذكرناه أستطيع أن أجزم جزماً قاطعاً بأن تلك النسخة الموجودة
بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم (١٥٥٥/نحو) والمنسوبة لركن
الدين الأسترا باذي على أنها كتاب "الشرح الصغير على الكافية" ، إن هي إلا واحدة
من نسخ شرح ابن الحاجب على كافيته . وأما كتاب "الشرح الصغير" فهو بعد
مفقود ، شأنه في ذلك شأن غيره من مصنفات تراثنا العربي والإسلامي التي عدت
عليها العوادي ولم تصل إلينا .

ويمكن أن نلتبس العذر لهؤلاء الباحثين المحدثين ؛ إذ إن الكتاب ينقص صفحة من
بدايته ، ولا يوجد به أي توثيق على الغلاف ، أو بداخله أو حتى في نهايته ، فتابعوا
بروكلمان في ذلك وهم مطمئنون .

- وأما عن نسخة ميونخ التي أشار إليها بروكلمان تحت رقم (٧١٥) على أنها
نسخة من كتاب الشرح الصغير ، فقد أرسلت في طلبها إلى المكتبة الوطنية في
ميونخ بألمانيا تحت الرقم المذكور ، فإذا بها نسخة من نسخ شرح الكافية
للرضي الأسترا باذي (ت ٦٨٦هـ) تقع في (٤٠٩) ق من القطع الكبير
(١١٨ ص) ، بالحة (٣٣) سطراً بالسطر (١٢) كلمة تقريباً .

- عدت إلى بروكلمان مرة أخرى لأقف منه على جديد ، وأعرف منه من أين نشأ

- اللبس، فأكشفت أن بروكلمان أيضاً قد التبس عليه الأمر، ولم يفرق بين
أسترابادي وآخر؛ إذ إنه - وهو بصدد الحديث عن شروح الكافية في كتابه،
قد اختلط عليه الأمر، فذكر ما نصه:

- الشرح الصغير (الأصغر)، لركن الدين الأسترابادي، توجد منه نسخة في
ميونخ تحت رقم (٧١٥)، ووضع علامة استفهام بجوار الرقم .

- شرح الرضي الأسترابادي، توجد منه نسخة في ميونخ تحت رقم (٧١٥) .
فقد ذكر ثلاثة كتب تحت رقم واحد وهو (٧١٥) في مكتبة ميونخ وحقبة الأمر أنه
كتاب واحد وهو شرح الرضي . أما الشرحان الآخران فلا يوجدان هناك .

وأخسب أنني قد قطعت الشك باليقين ههنا، وأعدت الحق إلى أصحابه،
وكشفت الخطأ الذي وقع فيه المستشرق الألماني كارل بروكلمان - ومن تابعه - في
نسبة هاتين النسختين لركن الدين الأسترابادي على أنهما نسخ لكتاب الشرح
الصغير، استناداً منه على أن هاتين النسختين لا يوجد على غلافهما توثيق أو نسبة
إلى مؤلف بعينه وأوضحت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأولى إن هي إلا واحدة من
نسخ شرح ابن الحاجب على كافيته، والثانية شرح للرضي على الكافية، وسوف
نرفق بهذا الورقة الأولى والأخيرة من نسخة ميونخ التي حصلنا عليها، ندعم بها ما
قلناه .

■ ما وصل إلينا من مصنفاته .

وصل إلينا من مؤلفات عالمنا - رحمه الله - المصنفات التالية :

١- كتاب البسيط ، وهو شرح كبير على كافية ابن الحاجب .

٢- كتاب الوافية في شرح الكافية ، وهو معروف بين العلماء باسم المتوسط .

٣- شرح شافية ابن الحاجب في الصرف .

وفي هذه العجالة تقدم تعريفاً مفصلاً بهذه المصنفات ونذكر مخطوطاتها ونعرف بأماكن وجودها ، وننص على ما طبع منها ، ومكان طبعته وسبب تأليفها ، وأيضاً نلقي الضوء على ماهية كل مؤلف ومحتواه ونكشف النقاب عن أهم ما يماز به بين مؤلفات العربية ومصنفاتها .

على أن تقوم في الفصول التالية بدراسة هذه المصنفات ، والتعرف على منهجه في معالجة القضايا النحوية ، والوقوف على مذهبه النحوي - أوتقول : البوقوف على انتمائه المذهبي - والتعرف على مصطلحاته التي استعملها ، ودراسة الشواهد النحوية عنده ، سواء كانت من القرآن أو من كلام العرب بنوعيه ونفرد فصلاً للوقوف فيه على الجانب الصرفي ، والتعرف على مدى ما قدمه للدراسات النحوية والصرفية من إسهامات .

١) كتاب البسيط

وهو شرح كبير صنفه الإمام ركن الدين الأستراباذي على كتاب (الكافية) ^(١) لصاحبه

الإمام ابن الحاجب - رحمه الله تعالى .

1- الكافية : مختصر تعليمي في النحو ، حذا فيه مؤلفه حذو الزمخشري في منفصله - في الغالب - ولكنه امتاز عن الزمخشري بجمله موضوعات الكافية نحوية محضة ، وأفرد للموضوعات الصرفية كتاباً خاصاً هو (الشافية) ، بعكس الزمخشري الذي جمع في منفصله بين الموضوعات النحوية والموضوعات الصرفية - كما فعل سيبويه في كتابه - وبهذا يكون ابن الحاجب قد اتبع منهجاً جديداً يقوم على التخصيص التأليفي .

ومما يلاحظ أن الكافية خالية من المقدمة ، خالية من الحمدلة ، وقد أشار إلى ذلك الجامي في مقدمة كتابه ^(٢) الفوائد الضيائية ، واعتذر له ، بقوله : "اعلم أن الشيخ - رحمه الله - لم يصدّر رسالته هذه بحمد الله سبحانه ، بأن جملة جزءاً منها هضماً لنفسه بتخييل أن كتابه هذا من حيث إنه كتابه ليس ككتب السلف - رحمه الله تعالى - حتى يصدّر به على مستنيتها ، ولا يلزم من ذلك عدم الابتداء به مطلقاً حتى يكون بتركه أقطع ، لجواز إتيانه بالحمد من غير أن يجعله جزءاً من كتابه . وبدأ بتعرف الكلمة والكلام ؛ لأنه يبحث في هذا الكتاب عن أحوالها ؛ فمتى لم يعرف كيف يبحث عن أحوالها ، وقدم الكلمة على الكلام ؛ لكون أفرادها جزءاً من أفراد الكلام ، ومفهومه جزءاً من مفهومه" .

وهذا الكتاب مع وجازته واختصاره جامع لكل مسائل النحو وقضاياها ، وقد أعجب العلماء به في كل العصور والأمصار ، وشحذ قرائح الشعراء فقال فيه بعضهم شعراً :

مَا أَبْصَرَتْ عَيْنٌ بِمِثْلِ الْكَافِيَةِ مَجْمُوعَةٌ تُدْرِي الْمَأْرِبَ شَافِيَةً
يَا طَالِبًا لِلنَّحْوِ الزَّمَّ حِفْظُهَا وَأَعْلَمَ بَيْنَنَا أَنَّهَا لَكَ شَافِيَةٌ

وقال الآخر :

صاغ الإمام العالم ابن الحاجب دُرراً فأخفاها كغمز الحاجب

وهو شرح كبير حاول فيه ركن الدين - على حد تعبيره - تفسير مشكلات الكافية وشرح معضلاتها، وإيضاح إشاراتنا ورموزها، وإبراز ما تحتها من دقائق وكوز عبارات واضحة وألفاظ لامحة جليلة .

لَمَّا تَوَاتَرَ حُسْنُهَا بَيْنَ الْوَرَى قَالَتْ أَنَا السَّخِرُ الْحَلَالُ فَحَاجِرِي

ونظراً لإعجاب العلماء بها أقبلوا عليها بالشرح والتعليقات والاختصارات والنظم وقد أحصيت لها (١٥٠) ما بين شرح ومختصر ومنظومة عليها لأفاضل العلماء منذ عصره وحتى الآن ولا أجد هنا مسعاً لعرضها أو تفصيل القول فيها .
(وللوقوف عليها ينظر: كشف الظنون: ١٣٧٠-١٣٧٦، وتاريخ الأدب العربي: ٣٠٩/٥-٣٢٦، وابن الحاجب النحوي: آثاره ومذاهبه، ومقدمة تحقيق الفوائد الضيائية: ٣١/١-٤١) .
ويوجد للكافية (٢٤) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، أرقامها: ٤٠٩ نحو، ٢٥٥ نحو، ٤٥٠ نحو، ٥٨٣ نحو، ١٠٦٥ نحو، ١٠٦٦ نحو، ١١٧٩ نحو، ١١٩٣ نحو، ١٤١٥ نحو، ١٥٩٩ نحو، ٥١٢٩ هـ، ١٤ نحو تيمور، ٣٢٢ نحو تيمور، ٤١٤ نحو تيمور، ٥٠١ نحو تيمور، ٣٧ نحو خليل أغا، ٣٨ نحو خليل أغا، ٣٤٢ نحو طلعت، ٢٧٥ ق، ٢٧٩ ق، ٢٧٧ ق ٦٣ م .

وأشار بروكلمان في كتابه (٣٠٩/٥) إلى أن مخطوطاتها منشورة في كل مكتبة من مكبات العالم تقريباً .
وطبعت في روما سنة ١٥٩٢ هـ، وفي كونيور سنة ١٨٨٨ م، سنة ١٨٩١ م، وفي قازان سنة ١٨٨٩ م، وفي طشقند سنة ١٣١١ هـ، وسنة ١٣٢١ هـ، وفي الآستانة سنة ١٢٣٤ هـ، وسنة ١٢٤٩ هـ، وسنة ١٢٦٤ هـ، ١٢٦٦ هـ، ١٢٧٣ هـ، ١٢٧٤ هـ، ١٢٧٦ هـ، ١٢٨١ هـ، ١٢٨٢ هـ، ١٢٨٣ هـ، ١٢٨٤ هـ، ١٣٠٧ هـ، وفي كونيور سنة ١٢٨٤ هـ، ١٢٨٩ هـ، ١٢٩١ هـ، وفي دهلبي سنة ١٢٧٠ هـ، ١٢٨٩ هـ، ١٣٠٦ هـ، وفي نظامي سنة ١٢٩٠ هـ، وفي بومباي سنة ١٣١١ هـ، وفي لكونو سنة ١٣١١ هـ (مع ترجمة بالفارسية)، وفي كلكنا سنة ١٨٠٥ م، ١٢٦٨ هـ، ١٢٩١ هـ، ١٣٠٩ هـ، وفي بولاق سنة ١٢٤١ هـ، ١٢٤٧ هـ، ١٢٥٥ هـ، ١٢٦٦ هـ .

- تحقيق اسم الكتاب:

اسم هذا الكتاب هو (البسيط) غير أننا قد نجد أحياناً يطلق عليه اسم (الشرح الكبير)

فما حقيقة هاتين التسميتين؟

أبادر فأقول إن اسمه هو كتاب (البسيط) كما جاء في كشف الظنون^(١) وكذلك في هدية

العارفين^(٢)، وفي أعيان الشيعة^(٣).

وكذلك جاء هذا الاسم عنواناً للكتاب على غلاف ثلاث نسخ خطية؛ الأولى محفوظة في

المكتبة الأزهرية تحت رقم (٦٣٦) ٤٣٢٩، والثانية: محفوظة كذلك في المكتبة الأزهرية تحت

رقم (٦٣٤) ٤٣٢٧، والثالثة: محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب والوثائق القومية

بالقاهرة، تحت رقم (٣٢٩).

ولأجل أنه شرح كبير على الكافية نرى من يكفي بأن يطلق عليه اسم (الشرح الكبير)؛ إذ إن

للرجل على الكافية ثلاثة شروح: كبير ومتوسط وصغير. وهذه التسمية أطلقها صاحب النجوم

الزاهرة^(٤) وكذا صاحب طبقات الشافعية الكبرى^(٥).

1- ص ١٣٧٢.

2- ٢٨٣/١.

3- ١٤٥، ٧٠/٢٣.

4- ٢٣١/٩.

5- ٤٠٧/٩.

ومثل ذلك جاء على غلاف سحة محفوظة بالخرزاة اليمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٣/هـ .

هذا ولم يرد في مقدمة المؤلف ولا في آخره شيء عن تسمية الكتاب .

- توثيق نسبه إلى ركن الدين:

هذا الكتاب ذكره جمهرة من المترجمين ونسبوه إلى ركن الدين ، نذكر من هؤلاء : السبكي^(١) والمقريزي^(٢) ، وابن حجر^(٣) ، وابن تغري بردي^(٤) ، وحاجي خليفة^(٥) والبغدادي^(٦) ، والعالملي^(٧) .

وحاء في التعرف بالكتاب في فهرس الكتب الموجودة في المكتبة الأزهرية (٤/١١٦) ما نصّه : البسيط : وهو شرح للعلامة السيد ركن الدين حسن بن شرف شاه الحسيني العلوي المعروف بالأستراباذي المتوفى سنة ٧١٥ هـ على الكافية لابن الحاجب ، وهو المعروف بالشرح

1- في طبقات الشافعية الكبرى : ٤٠٧/٩ .

2- في السلوك : ١٥٨/٢ .

3- في الدرر الكامنة : ١٦/٢ .

4- في النجوم الزاهرة : ٢٣١/٩ .

5- في كشف الظنون : ١٣٧٢ .

6- في هدية العارفين : ٢٨٣/١ .

7- في أعيان الشيعة : ٧٠/٢٣ ، ١٤٥ .

الكبير، وأوله: أما بعد حمد الله المتقرد... إلخ".

وكذلك جاء على غلاف مخطوطات الكتاب الثلاث: "كتاب البسيط لركن الدين الأستراباذي على كتاب الكافية". وجاء على غلاف النسخة الرابعة ما نصه: الشرح الكبير لركن الدين على الكافية الحاجية.

وقد ذكره ركن الدين نفسه - وهو بصدد التقديم لكتابه الوافية؛ حيث قال: "وبعد: فلإني بعد أن شرحت كتاب الكافية في النجوم إيرادات وأجوبة وأبحاث كثيرة شرحتة ثانياً مقتصراً على حل ألفاظه وشرح معانيه والإشارات إلى تحليلات تركيباته ومبانيه إلا نادراً، مع ذكر علل أكثرها...".

ونختم هذه المسألة بتوثيق ركن الدين لكتابه هذا في مقدمة كتابه؛ حيث قال: "أما بعد حمد الله المتقرد بالعزّ والجبروت والموحد بالملك والملكوت الواجب الذي لا يحول حوله الإمكان والقيوم الذي هو منزّه عن الزمان والمكان، الكامل الذي توجه إليه الرغبات... فإن كتاب الكافية في النحو المنسوب إلى الإمام العلامة جمال الدين أبي عمرو عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب المغربي - رحمه الله وجعل الجنة مثواه - كتاب صغير الحجم كثير العلم لاشتماله على جُلّ أقوال النحويين، مع زيادات شريفة وأبحاث نفيسة وقواعد لطيفة وضوابط كلية استقلّ بإبداعها مصنفه. لكن لما كان في عباراته انغلاق وفي ألفاظه إيجاز صعب على الطالبين فهم مقاصده وعسر على المبتدئين استخراج مطالبه، مع أن مؤلفه - رحمه الله - شرحه شرحاً

أشكل من الكتاب ، ولولا ذلك الشرح لما أمكن تحليل الكتاب . فالتمس مني وألح المجلس الرفيع وهو المولى العالم الفاضل ريبب الدولة ورئيس الملة وقدوة الحكماء والأطباء ، الفاضل ، قبلة الأكابر والفضلاء الأماثل - بلغه الله مطالبه وجعل في لدارين ما آربه - فسر مشكلاته وشرح معضلاته وإيضاح إشارات ورموزه ، وإبراز ما تحته من دقائقه وكنوزه ، بعبارات واضحة وألفاظ لائحة ، فأبيت عن ذلك لقصوري واعتراضي بجزئي عن فهم ما أودعه فيه من النكت والغرائب التي خلت منها مصنفات القوم في هذا الفن . لكن لما كرر الالتماس وأكثر الإلحاح وكلفني تكليفاً لا يمكن الحيف عنه ، استخرت الله تعالى وشرعت فيما التمسه مني وكتب ما وصلت إليه قريحتي وذهنِي ، وسألته أن يهديني سواء السبيل وأن يجتنبني طرق الأباطيل .

مخطوطاته:

يوجد لهذا الكتاب أربع نسخ خطية؛ ثبّان بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة وثبّان بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية . وهالك وصفاً عاماً لهذه النسخ الأربع:

أ- في المكتبة الأزهرية:

١ . نسخة في مجلد بقلم تعليق قديم كتبت سنة ٧٠٣ هـ - أي: في حياة المؤلف - بخط علي بن موسى بن منصور الشهرستاني ، وعنوانها: " البسيط ، لركن الدين الأسترباذي " . وهي نسخة خطية محفوظة بالمكتبة تحت رقم (٤٣٢٩ / ٦٣٦) وعدد لوحاتها (٢٠٨) لوحة، باللوحه صفحتان ، مسطرتها ١٧ سطرًا ، وبهامش

بعض أوراقها حواشٍ . وآخرها قوله : " وليكن آخر كلامنا هذا الفصل وبه يتم الكتاب ، والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب والواجب بوجود الحمد بلاحدٍ ونهاية ، ولنتيه محمد وآله الصلوات التحيات بلاعدّ وغاية ، والحمد لله رب العالمين " .

٢ . النسخة الثانية : نسخة في مجلد بقلم معتمد قديم خطت سنة ٧٩٢هـ ، وعدد لوحاتها (١٨٠) لوحة ، باللوحه صفحتان ، مسطرتها (٢٥) سطرًا ، وبها مشها بعض تعليقات ، وفي بعض أوراقها تقطيع وترميم وبها آثار رطوبة ، وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم (٦٣٤ / ٤٣٢٧) بعنوان " البسيط " ولم يعلم الناسخ .

ب - في الخزانة التيمورية :

- ١ . نسخة خطت بخط واضح مع وجود بعض كلمات مطموسة . كتبها ابن أمير حسيني حسن الحسيني سنة (١٠٩٧هـ) . وعدد صفحاتها (٥٣٤) صفحة من القطع الكبير . وهي محفوظة بالدار تحت رقم (٣٢٩) تحت عنوان " البسيط " أيضًا .
- ٢ . أخرى محفوظة أيضًا بالخزانة بالدار برقم (٥٦٣هـ) في (٤٦٣) صفحة ، وعنوانها : الشرح الكبير لركن الدين علي الكافية الحاجية . ولم يعلم الناسخ ولا السنة التي نسخت فيها .

ج - نسخ أخرى للكتاب :

وثمة نسخ أخرى للكتاب ذكرها بروكلمان في كتابه^(١) وأشار إلى أماكن وجودها ، وها هي :

1 - ينظر : تاريخ الأدب العربي : ٥ / ٣٢١ .

- ١ . نسخة في بطرس ج برقم (١٦٩) .
- ٢ . أخرى في المكتب الهندي (وأشار إلى فهرس المكتبة العربية ص ٩١٢-٩١٦) .
- ٣ . ثالثة في نيكيور برقم (٢٠٤٩/٢٠) .
- ٤ . رابعة في بون برقم (٢٩١) .
- ٥ . خامسة في الأسكوريال ثان برقم (٩٤) .
- ٦ . سادسة في مكتبة سليم أغا (وأشار إلى الفهرس ص ١١٥٦-١١٥٧) .

- طباعته:

أشار بروكلمان إلى أن هذا الكتاب طبع في لكوسنة (١٢٨٠ هـ) ولم أعر هذه النسخة المطبوعة ولا على أية نسخة مطبوعة أخرى .
وقد قام بتحقيق الكتاب الباحث عبد المنعم محمود علي سعيد وحصل به على درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف .

- ما يمتاز به هذا الكتاب:

يُعدُّ هذا الكتاب من أهم الشروح التي صُنفت على كتاب الكافية؛ وذلك لما يمتاز به من ميزات وسمات أهله لأن يحتمل هذه المكانة الكبيرة منها وضوح الأسلوب الفلسفي فيه وغلبة المصطلحات المنطقية . وهو كتاب جامع لمسائل النحو وأبحاثه .

وقد اعتمد مؤلفه على السرد والتساؤل بطريقة جذابة مكثرًا فيه من ذكر ما يمكن أن
يتصور من الاعتراضات على المسألة النحوية الواحدة مجيبًا عليها إجابة تدل على عبقرته
ورجاحة عقله وقوة فهمه بأسلوب تعليمي ميسر .

٢. كتاب المتوسط:

- تعريف بالكتاب:

• كتاب "الوافية في شرح الكافية" المعروف بين الدارسين بالمتوسط هو شرح ثان للعلامة ركن الدين صنفه على كتاب الكافية، بعد أن صنف شرحه الكبير المعروف باليسيط - الذي تحدثنا عنه منذ قليل .

• وقد ابتعد فيه مصنفه عن المباحث اللفظية والقضايا المنطقية الجدلية، وقد اقتصر فيه على حل ألفاظ الكافية، وشرح معانيها، وتحليل تركيباتها ومبانيها، وقد صرح بهذا بنفسه في مقدمة الكتاب، حيث قال - بعد حمد الله تعالى، والصلاة على رسوله الكريم - عليه الصلاة والسلام: ((... وبعد فإنني بعد أن شرحت كتاب الكافية في النحو مع إيرادات وأجوبة وأبحاث كثيرة شرحته ثانيًا مقتصرًا على حل ألفاظه وشرح معانيه . والإشارة إلى تحليل تركيباته ومبانيه إلا نادرًا، مع ذكر علل أكثرها^(١) .

وجعله لرسم خدمة الأمير يحيى بن إبراهيم ملك ختن، ونص على ذلك في المقدمة أيضًا، حيث قال: ((وجعلته لرسم خدمة الأمير الأكبر العالم الفاضل الكامل، سلالة الأمراء والوزراء مفخرة العرب والعجم، ناصر الدولة والدين، شمس الإسلام والمسلمين، يحيى بن المخدم

1- مقدمة الوافية، ص ١ .

المعظم، ملك صلاح العالم والوزراء، صاحب السيف والقلم، جلال الدنيا وندين، إبراهيم
ملك ملوك الخنئ، أعزَّ الله أنصارهما، وضاعف اقتدارهما بسبب اشتغاله بهذا الكتاب
الذي هو دستور في هذا الفن الأول لذوي الألباب»^(١).

- تحقيق عنوانه، وتوثيق نسبه إلى ركن الدين :

هذا الكتاب مشهور بين الدارسين والعلماء، ومداويل بينهم باسم (المبسط)؛ وذلك
لأنه وسط بين شرحين: الشرح الكبير (البيسط) والذي تحدثنا عنه منذ قليل - وشرح آخر
اسمه (الشرح الصغير) وهو مفقود، كما بينا .

وقد سماه ركن الدين "الوافية في شرح الكافية" وصرح بذلك في مقدمته حيث قال: «
وسميته: الوافية في شرح الكافية؛ لكونه واقياً مجلِّ الفأظه وشرح معانية»^(٢).

وجاء على غلاف النسخة التي طبعت عن وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان
{١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م}، والتي طبعت عن نسخة خطيه محفوظة بمكتبة وزارة التراث القومي
والثقافة هناك، جاء ما نصّه: «الوافية في شرح الكافية: تأليف: العلامة ركن الدين الحسن بن
محمد ابن شرف شاه العلوي الأسترباذي» .

وقد نقل الإمام الفاكهي - رحمه الله - نصّاً عن هذا الكتاب في كتابه: ((كشف النقاب

1- المصدر السابق .

2- الوافية، ص ١٠.

عن مخذرات ملححة الإعراب^(١)، في باب ما لا ينصرف - بشأن منع صرف ما جاء مما تلا في وزنه فعلا، حيث قال: «والمانع له من الصرف الصفة، وزيادة الألف والنون. ومن اشترط وجود فعلي ليس شرطا بالذات، بل لكونه مستلزما لانتفاء فعلاية الذي هو شرط الذات^(٢)». والنص في الوافية، ص ٣٧، وفيها ما نصّه: «... والأول هو الحق؛ لأن وجود فعلي ليس مستلزما بالذات، بل لكونه مستلزما لانتفاء فعلاية الذي هو شرط بالذات».

أما عن التوثيق التاريخي، فقد جاء في كثير من كتب التراجم باسم (الموسط)، حيث ذكره السبكي^(٣) ضمن مؤلفات ركن الدين، وكذلك ذكره المقرئ^(٤)، وابن حجر^(٥) وابن تقري بردي^(٦)، وحاجي خليفة^(٧)، والبغدادي^(٨)، والعالملي^(٩).

-
- 1- وقد قمنا بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه، وحصلنا به على درجة الماجستير في دار العلوم سنة ١٩٨٨ م.
 - 2- النص في ص ٣٩٦ في كتاب ((كشف النقاب...)).
 - 3- في طبقات الشافعية الكبرى ٤٠٧/٩.
 - 4- في السلوك: ١٥٨/٢.
 - 5- في الدرر الكامنة: ١٦/٢.
 - 6- في النجوم الزاهرة: ٢٣١/٩.
 - 7- في كشف الظنون: ١٣٧٢.
 - 8- في هدية العارفين: ٢٨٣/١.
 - 9- في أعيان الشيعة: ١٤٥، ٧٠/٢٣.

- أهمية هذا الكتاب :-

تكمن أهمية الكتاب في أنه شرح ابتعد فيه صاحبه عن المباحكات اللفظية والقضايا المنطقية الجدلية التي تخرج بالنحو عن الغاية التي وضع من أجلها ، وعرض مادته العلمية بطريقة سهلة ميسرة ، راعى فيها التيسير على المتعلمين .

ونظراً لأهمية الكتاب ، وقيمنه العلمية كثرت شروحه ، والحواشي عليه وشرحت آياته شروحا متعددة ، كما سنوضح ذلك عما قريب - إن شاء الله تعالى .

وعن هذا الكتاب قال إسماعيل بن علي الذي شرح أبيات شواهد ، وسماه : «كشف الوافية في شرح الكافية» : «وكان كتاب الوافية ، للسيد العلامة ، قدوة العلماء والمتبحرين ، رُبدة المتقدمين والمتأخرين ، ركن الملة والدين - أسكبه الله تعالى بجايح جنانه - دستوراً في هذا الفن ؛ إذ به يعرف أكثر مسائله ، ومشهوراً ؛ إذ كل واحد يستضيء بنور معالمه ، مع ما للطلبة من الحرص عليه وقراءته والشغف بدراسته»^(١) .

- مخطوطات الكتاب :-

لكتاب المتوسط نسخ خطية كثيرة منتشرة في مكتبات العالم ، وهاك حصراً شاملاً لها ولأماكن وجودها :

1 - مقدمة كشف الوافية في شرح الكافية .

أ) في المكتبة الأزهرية:..

يوجد في المكتبة الأزهرية سبع نسخ خطية لكاتب الوافية، وبيانها كما يلي:

– النسخة الأولى: نسخة في مجلد واحد بقلم معناد، كتبها أحمد بن محمد بن عبد الله

سنة ١٠٨٨هـ، بأولها نقص، وهي بعنوان: ((الوافية في شرح الكافية)). وتقع في ١٣٧ ورقة

بالورقة صفحتان. ومسطرتها ١٩ سطرا. وحجمها ٢١ سم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت

رقم (٣٧) ٢٤٣.

– النسخة الثانية: نسخة في مجلد واحد بقلم معناد، قديم، كتبت سنة ٨٩٠هـ. ولم يعرف

كاتبها، بأولها نقص، وبها أوراق بخط مغاير، وبها آثار رطوبة. وتقع في {١٩٠} ورقة،

بالورقة صفحتان. مسطرتها {١٧} سطرا، في ٢٠ سم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {

٢١٠} ١٣٤٦.

– النسخة الثالثة: نسخة في مجلد واحد بقلم معناد، لم يعرف الكاتب ولا السنة التي كتبت فيها

بأولها نقص، في {٩١} ورقة، وبالورقة صفحتان وبالصفحة {٢١} سطرا، ١٨ سم. وهي

محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٢٠٢} ١٢٨٣.

– النسخة الرابعة: نسخة في مجلد واحد، ضمن مجموعة. كتبت بقلم معناد سنة ٩٨٦هـ

كتبها عبد الله بن علي بن علي الخراشي، المعروف بابن صباح، بما مشها وبين سطورها حواش

ومسطرتها (٢٥) سطرًا، ٢٢ سم . وهي في المجموعة من ورقة (١) إلى ورقة (١٢١) .

وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٣٦٤} ٢٤٨٢ .

- الخامسة: نسخة في مجلد واحد أيضًا ، كُتبت بقلم معناد ، كتبها على المشرقي العلواني وذلك

سنة ٩٧٤هـ . بها آثار رطوبة وتقع في {١٧٤} ورقة ، بالورقة صفحتان بالصفحة {١٧}

سطرًا ، ٢١ سم . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٨٤٣} ٦٠٥٠ .

- السادسة: نسخة في مجلد واحد ، كُتبت بقلم فارسي ، وتقع في {١٤١} ورقة ، بالورقة

صفحتان ، وبالصفحة ٢١ سطرًا ، ٢١ سم . ولم يعلم الناسخ ولا تاريخ النسخ . وهي محفوظة

بالمكتبة تحت رقم {٧٤٩} ٢٠٠٢٧ .

- السابعة: نسخة في مجلد واحد ، كُتبت بقلم معناد ، بخط علي بن محمد ، سنة ١١١٤هـ ،

وبهامش بعض أوراقها حواش ، تقع في {١٢٧} ورقة . وبالورقة صفحتان ، بالصفحة {١٩}

سطرًا ، ٢٠ سم . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٢٣٠٠} رافعي / ٢٧٢٠٥ .

ب) في المكتبة المركزية بجامعة القاهرة:

يوجد منه أربع عشرة نسخة خطية ، يانها كالتالي :

■ الأولى: تحت عنوان: «الوافية في شرح الكافية» ، لأبي عمرو عثمان ابن عمر

ابن أبي بكر ، المعروف بابن الجاجب "وهي مكتوبة بقلم نسخ في مجلد واحد

وتقع في {٥٤٨} صفحة ، بالصفحة {١١} سطرًا وبها حواش وتعليقات

ولم يعلم الناسخ ولا تاريخ النسخ . وأولها قوله : «وبه نستعين وعليه التكلان

» . وهي محفوظة بمكتبة الجامعة تحت رقم {١٦٣٠٩}

▪ الثانية : توجد ضمن مجموعة كُتبت بقلم معناد في {١٦٥} ورقة ، بالورقة

صفحتان ، بالصفحة {١٥} سطرًا ، وأولها قوله : «أحمد الله على عظمة

جلاله» . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {٢١٢٣٤} . ولم يعلم الناسخ

ولا تاريخ النسخ .

▪ الثالثة : نسخة في مجلد واحد ، كُتبت بقلم فارسي معناد ، في {٥٦٩}

{ صفحة بالصفحة {١١} سطرًا . أولها : أحمد الله على عظمة

قدره . كُتبت سنة ١٠٦٢ هـ ، ولم يعلم الناسخ . وهي محفوظة بالمكتبة تحت

رقم {١٥٨٦٠} .

▪ الرابعة : نسخة في مجلد واحد ، كُتبت بقلم ، سنة ١٠٢٣ هـ . وتقع في {

٤٦٨} صفحة ، ولم يعلم الناسخ . وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {

١٦١٣١} .

▪ الخامسة : نسخة في مجلد واحد ، كُتبت بقلم معناد ، سنة ١٩٣٢ م ، وتقع في {

٤١٨} صفحة . ولم يعلم الناسخ . وهي محفوظة بالمكتبة برقم {

١٦١٦٩} .

- السادسة: نسخة كُتبت بقلم نسخي، سنة ١٠٤٤هـ، تقع في {٣٨٤} صفحة بالصفحة {٢١} سطرًا في ١٤×٩ اسم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦١٧٠}.
- السابعة: نسخة كُتبت بقلم نسخي، في {١٣٠} صفحة، في مجلد واحد بآخرها نقص ولم يعلم الناسخ، ولا تاريخ النسخ. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦١٧٢}.
- الثامنة: نسخة في مجلد واحد، كُتبت بقلم معناد، سنة ٨٤٨هـ، في {٤٠٢} صفحة، بالصفحة {١٣} سطرًا، بأولها خرم. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦٢٠٥}.
- التاسعة: نسخة في مجلد، مكتوبة بخطوط مختلفة، لم يعلم الناسخ، ولا السنة التي كُتبت فيها، وتقع في {٤٦٨} صفحة. وهي محفوظة بالمكتبة تحت رقم {١٦٢٥٧}.
- العاشر: نسخة في مجلد واحد، كُتبت سنة ١٠٣٧هـ، تقع في {٣٣١} صفحة والناسخ غير معروف. وهي محفوظة تحت رقم {١٦٢٥٨}.

▪ الحادية عشرة: نسخة قديمة مكتوبة بأقلام مختلفة . ناقصة من أولها

وآخرها . وأول ما فيها «المفرد؛ فاللفظ ما يتلفظ به الإنسان ...»

وصفحاتها {٣٢٦} صفحة، محفوظة تحت رقم {١٦٢٥٩} .

▪ الثانية عشرة: نسخة في مجلد واحد ، كتبت بقلم معاد ، سنة ٨٨٧هـ ، في

{٣٧٢} صفحة بالصفحة {١٥} سطرًا ، في ١٢×٨ سم . وهي محفوظة

تحت رقم {١٦٢٦١} .

▪ الثالثة عشرة: نسخة في مجلد واحد ، مكتوبة بأقلام مختلفة أغلبها بالقلم

الفارسي والتاسخ غير معروف ، وكذلك السنة التي كتبت فيها ، تقع في

{٥٦٥} صفحة ، وهي محفوظة تحت رقم {١٦٢٩٠} .

▪ الرابعة عشرة: نسخة في مجلد ، كتبت بقلم شبيه بالرقعة ، سنة ١٠٠٤هـ ،

وفي {٤٠٤} صفحة بالصفحة {٢١} سطرًا . وهي محفوظة تحت رقم {

١٦٢٦٣} .

ج- وفي دار الكتب القومية بالقاهرة يوجد منه عشر نسخ خطية محفوظة بالدار ،

أرقامها : ٣٧٥/نحو ، ٣٨٩/نحو ، ١١٦٢/نحو ، ١١٩٤/نحو ، ١١٩٥/نحو ، ١٢٢٧/نحو

، ١٥٦٦/نحو ، ١٦٧٢/نحو ، ١٦٨٢/نحو ، ١٧٠٥/نحو . وعدد الأوراق : ٢٥٤ق ، ١٢٠ق

١٨١ق ، ٢٢٨ق ، ٤٨١ق ، ٩٧ق ، ١٢٤ق ، ٢٠٢ق ، ٤٠ق ، ١٧٩ق .

د- وفي الخزانة التيمورية بدار الكتب القومية بالقاهرة ثلاث نسخ أرقامها : ١٠٠ نحو تيمور ،

١٣٩ / نحو ، ٦٢٩ نحو تيمور . وعدد الأوراق : ٣١٧ ص ، ٣٩٠ ص ، ٣٥٧ ص .

هـ - ومنه نسخة محفوظة بالمدرسة الإسلامية بالموصل (بالجامع الكبير) برقم { ٩٨٤١ } .

و- ومنه نسخة محفوظة بالمدرسة الأحمدية بالموصل ، تحت رقم { ١٠٤١ } .

ز- وفي جامع الحمودين بالموصل نسخة محفوظة تحت رقم { ١٠٦٦ } .

ح- نسخة محفوظة بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان خطت بقلم السيد

سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الأزدي ، مكتوبة بخط جيد

الوضوح ، إلا أن بها بعض التآكل والأخطاء في النسخ .

ط- يضاف إلى ما سبق نسخ^١ أخرى ذكرها بروكلمان في كتابه^(١) ، وأشار إلى أماكن وجودها ،

وهاك بيانها :

- نسخة في برلين ، وأشار إلى رقم { ٦٥٦٦ ، ٦٥٦٥ : ٥٢١ - ١٧٩ }

- أخرى في ليدن ، وأشار إلى الرقم { ١٨٥ } .

- ثلاثة في مكتبة جمعية المستشرقين الألمان ، وأشار إلى رقم { ٧٠ } .

- أربعة في جاريت ، وأشار إلى { ٣٦١ - ٣٦٥ } .

- خامسة في طهران سه سالار، وأشار إلى { ٣٦٦-٣٦٣/٢ } .
- سادسة في قوله، وأشار إلى { ١٣١-١٣٠ } .
- سابعة في باتنه، وأشار إلى ١٧٥/١، رقم { ١٦١٩ } .
- ثامنة في ليزج، تحت رقم { ٤٢٦ } .
- تاسعة في توبنجن، تحت رقم { ٦٤ } .
- عاشره في هايد لبرج، تحت رقم { ٧١، ٢١٦ } .
- وأشار إلى وجود نسخة في بريل أول، وأشار إلى { ١٤٤-١٤٣ } .
- وأخرى في بريل ثان، وأشار إلى { ٣٢٤-٣٢٣ } .
- وأخرى في بولون، وأشار إلى الرقم { ٢٩٨-٢٩٢ } .
- وأخرى في الأمبروزيانا [VB] .
- وأخرى في الفاتيكان ثالث { ٣٤٨ }، قم { ٢، ٢٦٤، ٢ }، ٨٣٩-٨٣٨/٢ .
- وأخرى في المتحف البريطاني ثالث برقم { ٧٧٣٠ or ٧٤٦ } .
- وأخرى في المتحف البريطاني ثالث برقم { ٤٩ } .
- وأخرى في مانشستر، برقم { ٧١٢-٧١١ } .
- وأخرى في برنستون، وأشار إلى { ٥٧-٥٦ } .
- وأخرى في بطرسبرج رابع، وأشار إلى { ٩٣٩ } .

- وأخرى بطرسبورج ثالث، وأشار إلى {٨١١-٨١٢} .
- وأخرى في سليم أغا، وأشار إلى {١١٥٢} .
- وأخرى في الظاهرية بدمشق، وأشار إلى {٧٦/٧٢-٧٤} .
- وأخرى في مشهد، وأشار إلى {٢١/١٢}، رقم {٧٤-٧٧} .
- وأخرى في بوهار، وأشار إلى رقم {٣٨٠} .
- وأخرى في رامبور، وأشار إلى رقم [٥٤٥/١]، رقم {١٦٣٤} .
- وأخرى إلى باتافيانان، وأشار إلى رقم {٧٦٣} .
- بالإضافة إلى أربع نسخ خطية في الموصل، بأرقام: ١١٩، ٢٩٤، ٣٤٥، ٣٤٩ .

- طباعته:

طبع كتاب الوافية في لكوسنة ١٨٦٤م^(١) وطبع أيضاً في سلطنة عمان، عن وزارة التراث القومي والثقافة، بتحقيق عبد الحفيظ شلبي، ونشرته أيضاً وزارة التراث القومي والثقافة بالسلطنة، في حين أن نسخ هذا الكتاب أربت على السبعين، وفي هذه الطبعة إشكالات كثيرة مردّها الاعتماد على نسخة واحدة رديئة، وعمل المحقق لا يكاد يذكر؛ إذ إنه أكتفى بنسخ المخطوطة وإضافة صفحة ونصف كمقدمة للطبعة، دون أن يعلق تعليقا واحداً على امتداد

1 - ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥ / ٣١٣ .

صفحات الكتاب ودون تخريج لشاهد نحوي فيه، يضاف إلى ذلك أنه لم يضع فهرساً لموضوعات الكتاب، أو أي فهرس آخر .

وَحَقَّقَ الكِتَابَ أَكْثَرَ مِنْ تَحْقِيقٍ؛ فَقَدْ حَقَّقَهُ فِي مِصْرَ البَاحِثُ خَالِدُ فَائِقٍ أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ وَنَالَ بِهِ دَرَجَةَ الدِّكْوَرَاهِ فِي كَلِيَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَةِ - جَامِعَةِ الأَزْهَرِ فِي عَامِ ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ، وَحَقَّقَ فِي العِرَاقِ: وَحَقَّقَهُ البَاحِثُ مُحَمَّدُ عَلِي هَادِي الحُسَيْنِي وَنَالَ بِهِ دَرَجَةَ المَاجِسْتِيرِ مِنْ جَامِعَةِ بَغْدَادِ سَنَةِ ١٩٧٢م^(١) .

وَحَقَّقَ فِي سُورِيَا، وَقَامَتْ بِتَحْقِيقِهِ البَاحِثَةُ نَيْفَتُ حَضُورَ، وَنَالَتْ بِهِ دَرَجَةَ المَاجِسْتِيرِ فِي كَلِيَةِ الآدَابِ - جَامِعَةِ دِمَشْقَ - سَجَلَتْ فِي ١٨/٣/١٩٨٠م^(٢) .

٠ الشروح والحواشي على الكتاب

أولاً: الشروح:

- ١ . شرح لإسماعيل بن محمد، على أبيات الوافية، وسمّاه: ((كشف الوافية في شرح الكافية)) . وقال في مقدمته - بعد الديباجة - :
«وكان كتاب الوافية للسيد العلامة، قدوة العلماء والمتبحرين، زبدة

1 . نظر فهرس المطبوعات العراقية: ٢٣/٢ .

2 . ملف الدراسات العليا في جامعة الجمهورية العربية السورية: ١٣٦ .

المتقدمين والمتأخرين ، ركن الملة والدين - أسككه الله تعالى مجابيح
جنانه - دستوراً في هذا الفن ؛ إذ به يعرف أكثر مسائله ، ومشهوراً ،
إذ كلُّ واحد يستضيء بنور معالنه ، مع ما للطلبة من الحرص عليه
وقراءته والشغف بدراسته^(١) .

- ٢ . شرح لأبي سعيد بن أحمد الزواوي ، ذكره بروكلمان وأشار إلى وجود
نسخ خطية له في : جوتا {٢٥٦} ، وأويسالا ٦٠/٢ ، رقم {٢} ^(٢) .
- ٣ . شرح السيد الشريف الجرجاني ^(٣) : (ت ٨١٦هـ) ، وقد مات دون أن
يكمله فأكملاه ابنه محمد . ذكر ذلك العاملي في أعيان الشيعة ^(٤) .
- ٤ . عون الوافية : وهو شرح لشواهد كتاب الوافية ، ألفه كمال بن عبد
الرحمن بن إسحاق ^(٥) .

1- وهذا الشرح قد أطلعنا عليه في المكتبة الأزهرية مخطوطاً . وقد ذكره العاملي في أعيان الشيعة : ٢٣ / ١٤٥ .

2- ينظر تاريخ الأدب العربي : ٢٣ / ١٤٥ .

3- وقد اطلمت على نسخة خطية له ، محفوظة في مكتبة البلدية بالأسكندرية تحت رقم (١٣) نحو ، وعاودت قراءتها أكثر
من مرة . هذا وقد أشار بروكلمان إلى وجود نسخ أخرى لهذا الشرح في : الأسكوريال ثان (٨١ رقم ١ ، ١٥٤) ، وبنكيور :

٢٠ / ٢٠٥٠ ، وبناته (١ / ١٦٥ رقم ١٥٤٩) ، والفاتيكان ثالث (٣٥٣ رقم ١) وطبع البكاتب في دهلبي عام ١٢٨٥هـ .

4- ينظر ٢٣ / ٧٠ .

5- وقد اطلمت على نسخة خطية له ، محفوظة بمكتبة البلدية بالأسكندرية تحت رقم (٢٦) نحو ، حُطت سنة ٩٢٦هـ

٥ . كشف الوافية في شرح الكافية: وهو شرح لمحمد بن عمر الحلبي، من

علماء القرن التاسع (ت ٨٦٠هـ) أولها: ((لك الحمد يا من صرف

قلوبنا نحو المعاني والبيان ...)) فرغ من تأليفها سنة ٨٢٣هـ^(١).

٦ . شرح لمحمد بن محمد القرمي: ذكره بروكلمان في كتابه^(٢).

٧ . شرح لأبيات الكتاب - مجهول المؤلف . ومنه نسخة خطية اطلعت

عليها في دار الكتب المصرية، عنوانها: ((شرح أبيات المتوسط)) تقع

في {٥٢} ورقة، محفوظة برقم {١٩١٣} نحو .

١ - ومنه نسختان خطيتان بالمكبة الأزهرية:

الأولى كتبت بقلم فارس سنة ٩٥٥هـ بخط محمد بن داود بن يوسف، وبهامش بعض أوراقها حواش، تقع في (١٨٨) ورقة، بالورقة صفحتان، بالسطر (١٥) سطرًا، وهي محفوظة تحت رقم (٧٦١٥/٩٧٣).

والثانية: كتبت بقلم فارسي أيضًا سنة ٨٧١هـ، كتبها علي بن محمد، وبها آثار رطوبة وأكل أرضة، تقع في (١٤٤) لوحة باللوحه صفحتان، بالصفحة (١٧) سطرًا في المتوسط، وهي محفوظة بالمكبة تحت رقم (٢٢٨٩/٢٧١٩٤). وقد اطلعت على هاتين السختين وعاودت قراءتهما أكثر من مرة.

رثمة نسخ أخرى أشار إليها بروكلمان في كتابه (٣١٣/٥) وهي: ١- نسخة في برلين (١٥٦٧)، وأخرى في باريس (٤٠٤٠) والثالثة في جاريت (٣٦٦-٣٦٧)، والرابعة في ميونخ (٧١٣) وخامسة في بولون (٢٩٩، ٣٩٦) برقم (٣)، وسادسة في بريل (١٤٥)، وسابعة في بريل ثان (٣٢٧)، وثامنة في سليم أغا (١٠٩٩) وتاسعة في الموصل (٨٢) برقم (٤٩).

٢ ٣١٣/٥ . وأشار إلى وجود نسخة خطية له في برلين برقم {٥٢٣} ٣٤٥٣.

- ٨ . شرح لمجهول، ذكره بروكلمان^(١) .
٩ . شرح آخر لمجهول أيضًا، ذكره بروكلمان^(٢) .

ثانياً: الحواشي:

- ١ . حاشية لمحمد بن عبد الله المزني . ذكرها العاملي في أعيان الشيعة^(٣)
٢ . حاشية لمحمد بن عز الدين بن صلاح (ت ١٠٥٠هـ)^(٤) .
٣ . حاشية لملا الأبيوردي^(٥) .

-
- 1- ٣١٣/٥ . وأشار إلى وجود نسخة خطية له في جارت {٣٦٩-٣٦٨} .
2- المصدر السابق . وأشار إلى وجود نسخة خطية له في أواسال: ١/٢ رقم {٣} .
3- ٧٠/٢٣ .
4- ذكرها بروكلمان في كتابه (٣١٣/٥) ، وأشار إلى وجود نسخة خطية له ، وأحال إلى كالج ها راسوع .
ص ٤٤٤ ، برقم ٣٧ (٣) .
5- ذكرها بروكلمان أيضًا في كتابه (٣١٣/٥) . وأشار إلى أنه توجد نسخة خطية له في مشهد ٨/١٢ ، رقم
(٢٣) .

تعقيب :

تبيّن ممّا سبق أن ركن الدين قد شرح الكافية ثلاثة شروح: كبير ومتوسط، وصغير. وأن الكبير والمتوسط قد وصلنا إلينا. وأما الصغير فبَعْدُ مفقود. والآن يمكن أن يقال:

- لماذا كتب ركن الدين - رحمه الله - ثلاثة شروح على كتاب الكافية؟

- ولمن كتب هذه الشروح الثلاثة؟ ..

وقبل أن نجيب عن هذين السؤالين نجد أمامنا سؤالاً أعمّ منهما يفرض نفسه ويحتاج إلى

الإجابة عنه، وقد يكون متضمناً بعض إجابة عن السؤالين السابقين، وهذا السؤال هو:

لمن كتب ابن الحاجب - رحمه الله - مقدمته (الكافية)، ولماذا عاد وشرحها بنفسه؟

وللإجابة عن السؤال الثاني الخاص بابن الحاجب نقول: إن من يعود إلى القرن السابع

الهجري، ويستعرض مؤلفات ذلك العصر يجد أن عدداً لا بأس به من المؤلفات المختلفة المواضيع

قد كتبت بشكل مختصرات ثرية أو شعرية ولكنه يلاحظ أيضاً أن مؤلفي ذلك العصر قد عادوا

وشرحوا مختصراتهم بأنفسهم، وذلك كما فعل ابن الحاجب وابن مالك وغيرهما. ويلاحظ

أيضاً أن العلماء قد انكبوا على هذه المختصرات والمتون، وشرحوها شروحاً كثيرة.

وبعد دراسة العصر قد يصل الباحث إلى أن تلك المختصرات والمتون والمقدمات قد

تكون ردّاً على النزاع والقلق اللذين سادا في العالم الإسلامي يومذاك، بسبب كثرة الفتن والفتن والفتن

والاضطرابات الناجمة عن هجوم الصليبيين والتآر على البلدان الإسلامية، وأيضاً بسبب

صراعات المسلمين أنفسهم بين بعضهم البعض ، وكذلك منازعات خلفاء صلاح الدين بين بعضهم البعض .

فالمختصرات إذن رُدُّ على الوضع وتأقلم معه ؛ لأن صغر حجمها يسهل نقلها وحفظها واستظهارها ، ويقبَلُ من فُرُض ضياعها وتلفها ، بدليل أن أصحاب المختصرات أنفسهم قد عادوا وشرحوا مختصراتهم عندما شعروا بنوع من الأمان والاستقرار - وهذا ما فعله ابن الحاجب ، حيث كتب مقدمته (الكافية) في النحو فيما لا يزيد على (٢٨) صفحة ، لكنه جمع فيها ، بالرغم من صغر حجمها ، كل أبحاث النحو ومسائله وقضاياها ، وأشار فيها إلى اختلاف لهجات العرب ولغاتهم ، وإلى اختلاف العلماء في بحث القضية الواحدة ، وإلى تداخل بعض اللغات . وهذا ما فعله أيضاً في مقدمته التصريفية (الشافية) حيث كتبها فيما لا يزيد على (٤٠) صفحة ، لكنه أيضاً جمع فيها - بالرغم من صغر حجمها - كل أبحاث التصريف ، وأشار فيها أيضاً إلى اختلاف لهجات العرب ولغاتهم ، وغير ذلك .

وأرى الآن أنه أصبح من اليسير معرفة الدافع وراء تعدد شروح العلامة ركن الدين على كافية ابن الحاجب ؛ فهو قد كتب شرحه الكبير أولاً ، مستعرضاً فيه كل ما وصلت إليه قريحته في هذا الفن ، موظفاً قدرته المنطقية والكلامية في خدمة قضاياها النحوية ، فخرج الكتاب عميقاً شاملاً ، يمكننا أن نقول إن صاحبه قد استطاع أن (يُمنطقَ النحو في كتابه هذا) [إن صحَّ هذا التعبير .

ولكنه أيضًا وجد أنه من الضروري اختصار هذا الشرح، كي يكون في متناول الجميع،
وليسهل حمله في حله وترحاله، نتيجة لظروف العصر الذي يعيش فيه فشرح الكافية شرحًا ثانيًا
، ابتعد فيه عن المباحكات اللفظية والقضايا المنطقية الجدلية التي حشاها في شرحه الأول (البسيط) ، ولعل هذا هو السبب وراء ذبوع وشهرة هذا الشرح الثاني (الوافية) ، المعروف بين
العلماء والدارسين بالمتوسط .

ثم أراد أن يشرحه شرحًا ثالثًا أكثر اختصارًا فصنف كتابه : الشرح الصغير .

ومن هنا نقول : إن الاختصار هنا أيضًا كان ردًا على النزاع والقلق اللذين سادا العالم
الإسلامي آنذاك بسبب كثرة الفتن والقلقل والاضطرابات التي كانت سائدة ، وقد يضاف إلى
ذلك أنه قد يكون الدافع وراء الاختصار أيضًا دافعًا تعليميًا ، مراعيًا بذلك التيسير على
المتعلمين في عصره وبعد عصره .

(٣) شرح الشافية

وهو شرح لركن الدين على مقدمة الإمام ابن الحاجب في علم التصريف، المعروفة بالشافية^(١). وهو الكتاب الذي تقوم بتحقيقه في قسم من رسالتنا إن شاء الله. وستفرد لهذا الكتاب حديثاً آخر في الفصل الخاص بجهد ركن الدين في الميدان الصرفي - إن شاء الله تعالى.

1- وهي مقدمة تصرفية مختصرة، وهي مع اختصارها وافية جامعة لكل القضايا والمسائل الصرفية، وأشار فيها إلى اختلاف لمجات العرب ولغاتهم وقد نالت إعجاب العلماء؛ قال عنها الجاربردي: «كتاب مع صغر حجمه ووجازة لفظه، مشتمل على فوائد شريفة وقواعد لطيفة ومحمّو على دقائق الأسرار العربية، ومدطو على المباحث التي هي مفتاح العلوم الأدبية» (مجموعة الشافية: ٤/١).

وهي عند الحسيني، المعروف بنقده كار: «عُبابٌ كثيرٌ علمُه بالرغم من صِغَرِ حَجْمِهِ». (المصدر السابق: ٢/٢) وعند الكرمياني: «وافية من بين تصانيف الصرف في قضاء الوطر». (المصدر السابق: ٢/٢٨٠).

ونظراً لإعجاب العلماء بها أقبلوا عليها إقبالاً عظيماً، فشرحوها شروحاً كثيرة، ولا أجد هنا مسعاً لعرض هذه الشروح أو تفصيل القول فيها، (وللوقف على تلك الشروح، ينظر: تاريخ الأدب العربي ٣٢٧/٥ - ٣٣٢). وابن الحاجب النحوي: ٧٣ - ٧٦) وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص ٧٣، وما بعدها، وكشف الظنون، ص ١٠٢٠ - ١٠٢٢. وقد قام ابن الحاجب هو أيضاً بشرح شافيته. وهنا يمكن أن يقال - بعد أن عرفنا اهتمام العلماء بالكافية والشافية وإقبالهم عليها بالشرح والتعليقات والنظم - لماذا اهتم العلماء بكب ابن الحاجب هذا الاهتمام العظيم؟

ويمكننا أن نقول في الإجابة عن هذا السؤال: إن كب العلامة ابن الحاجب - رحمه الله - مدرسة قائمة بذاتها عاش على فائدها النحويون. وقد قال عنه الرواة إنه خاف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات والزامات مُفجّمة يعسر الجواب عنها (الشذرات: ٢٣٤/٥) وقال الإدقوي في الطالع السعيد (ص ١٨٨) عن كب ابن الحاجب: «لئن الناس اتفقوا بَصانيفه، لما فيه من كثرة النقل مع صغر الحجم وتحرير اللفظ».